سلسلة توجيهات لإصلاح الأسرة (٧)

١٠ ر.س

يا معشر الرجال رفقاً بالنساء

د. نجاح بنت أحمد الظهار

دار المحمدي

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

يا معشر الرجال رفقاً بالنساء

٢١٩١
ظ ن ى

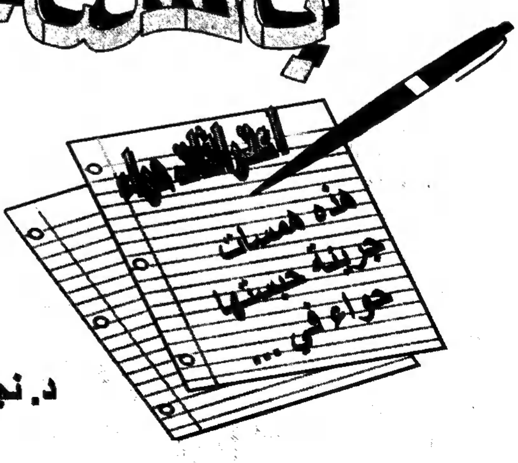

د. نجاح أحمد الظهار

دار المحمدي للنشر والتوزيع ، ١٤٢١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الظهار ، نجاح أحمد
يا معشر الرجال رفقاً بالنساء . جدة
...ص ؛ ... سم (توجيهات لإصلاح الأسرة ؛ ٧)
ردمك : ٩٩٦٠ـ٧٥٢ ــ ٨٥ـ٥
١ـالزواج ٢ـتعدد الزوجات. أ.العنوان ب.السلسلة
ديوي ٢١٩، ١ ٢١/٠٦٦١

رقم الإيداع : ٢١/٠٦٦١
ردمك: ٩٩٦٠ـ٧٥٢ـ٥٨ـ٥

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

الناشر

دار المحمدي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية
جدة ـ حي الجامعة ـ شارع عبد الله السليمان
هاتف ٦٨٩٧٥٠٩ ــ ناسوخ ٦٨٠٢٦٠٤
ص.ب ٩٣٤٧ الرمز البريدي ٢١٤١٣

إهداء

إلى قلب كل آدم واع .. يحرص على الاقتداء بالمصطفى ﷺ.

إلى قلب كل حواء مكلومة تُجَمُّ صوتها ، وهي تطالب آدم بتطبيق حقوقها المشروعة لها في الإسلام .

إلى كل أسرة مسلمة ترجو الاستقرار ، والأمان ، والوصول إلى مشارف الجنان .

أهدي هذا الكتاب المتواضع

راجية من الله تعالى .. أن يعم نفعه ، وأن يصلح من خلاله ما اعوج من أخلاقنا ..

إنه سميع مجيب .

د . نجاح أحمد الظهار .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن والاهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فسبحان الذي جعل بين الزوجين مودة وسكناً ، فقال في كتابه الكريم :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون ﴾(١)

وسبحانه عز من قائل :

﴿ هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾(٢)

فهذه الآيات الكريمة تفيض بالمعاني الإيمانية الثَّرَّة . هذه المعاني لو طبقت كما وردت في الآيات لاندحرت جميع الصعاب ، ولعجزت المشكلات عن إيجاد ثغور تنفذ منها إلى داخل الحياة الأسرية .

ولكن عدم فهم كثير من الناس لفحوى هذه الآيات فهماً واعياً جعلهم يتخبطون في غياهب الظلم مما أدى إلى تفكك أواصر الأسرة المسلمة ، وانفصام عراها .

ولقد حاول بعضهم انتشال الحياة الأسرية الإسلامية من هوة الفشل ، فوضعوا المرأة نصب أعينهم ، وانهالوا عليها نصحاً وإرشاداً ، ولم يكتفوا بذلك بل اقتحموا واقعها الوظيفي في البيت وخارجه ، وعرفوا عيوبها ومثالبها ، وعملوا على إقالة عثرتها ، فجزاهم الله عنها خير الجزاء ، ولكن ظنهم بأن

---

(١) الروم : ٢١ .

(٢) الأعراف : ١٨٩ .

الأسرة تـــقوم أكثر ما تقوم على أكتاف المرأة وأنها هي المســؤولة عن نجـــاح الأسرة أو فشلها ، جعلهم يغفــلون عن جانب كبير من المشـــكلة ، فـــأغمضوا أعينهم عن مسؤولية الرجل وواجباته نحو الأسرة ، وربما تطرق إليها بعضـــهم بطريقة رتيبة تسرد للرجل الحقـــوق والواجبات المنوطة به سرداً مـــن غـــير تغلغل في أعماق حيـــاته ، ومعايشة واقعه العملي ، ومتابعة سلوكه التطبيقـــي ، إذ أنه لا يمكن وصف العـــلاج إلا بعد المعاينة والتشخيص الدقيق لكـــل حالـــة مرضية وفي الوقت الذي تثور فيه .

وفي هذا الكتاب حاولت الكاتبة أن تقدم شرائح حية من واقع **حـــواء** مـــع **آدم** اليوم ، وهي تستهدف من حديثها إسداء النصح لكل الرجـــال ، وخاصـــة الرجـــل المسلم الواعي ، لأنه ممن يرجى برؤه ــ بإذن الله تعـــالى ــ وهـــي تتوسم فيه الخير والاستجابة ، لما ينطوي عليه قلبه من مخافـــة الله وخشـــيته ، فحتى إذا ما ربضت على قلبه الغفلة فَذُكِّرَ بقول الله تعالى ، وقول رســـوله ﷺ فإنه سريع الفيء سهل الانقـــياد لأمـــر الله تعـــالى : **﴿ إنَّ الذين اتقوا إذا مسهم طائفٌ من الشيطان تذكَّروا فإذا هم مبصرون ﴾**[1].

قد يظن بعضهم أن المشكلات التي عرضتها **حـــواء** الكاتبة فـــي هـــذا الكتاب نابعة من تجربة ذاتية لها ، ولهؤلاء أقول :

إن مجـــتمعي الخاص الذي يحيط بي ، فيه رجال هم القدوة والمثـــل فـــي طيب الصحبة ، وحسن العشرة ، وهم ندرة في الرجال .

ولكن **حـــواء** الكاتبة تتعايش ، وتتفاعل مع مشكلات **حـــواء** في المجتمع العام ، فتحس وتتألم ، وتشعر أن كل مشكلة تسمع بها هي مشكلتها الخاصة .

---

(١) الأعراف : ٢٠١ .

واستعملت الكاتبة لفظ (حواء) كناية عن المرأة ، و(آدم) كناية عن الرجل ففي مواطن الاتهام في الكتاب لا تقصد رجلاً واحداً بعينه وفي نفس الوقت لا تقصد جميع الرجال على الإطلاق والعموم ولكنها قصدت كل رجل تتمثل فيه صفات آدم الذي يسيء إلى حواء من قريب أو بعيد ، أي أنها جعلت من آدم في هذه المواطن نموذجاً بشرياً لكل آدم يطابقه في السلوك في الواقع الخارجي .

وفي مواطن العظة والعبرة تقصد جميع الرجال لتعميم الفائدة .

أرجو يا آدم أن تقرأ الكتاب بإمعان وجدية ورغبة في إصلاح ذاتك ، ولا يكون إصلاح الذات إلا بجعل كل مشكلة معروضة وكأنها مشكلتك الخاصة، فتعرض حياتك عليها بصدق ، وتختبر نفسك بحياد تام ، ثم تحاول أن تتفادى وتجانب أي خطأ ، فإن أنت فعلت ذلك استفدت من قراءتك ، ولم تضع وقتك ، أما إذا قرأته وأنت مبرئ نفسك من الخطأ ، ومنزه لها عن التقصير ، وكأن ما تقرأه إنما هو يخص غيرك ولا يعنيك ، وأنك مثالي في كل سلوكك ، فأنصحك بعدم تكليف نفسك مشقة القراءة .

وحواء لا تقصد من كتابتها هذه أن تبرئ نفسها ، وتدخل آدم قفص الاتهام ، بالطبع لا ، فهي تعترف بأن لها أخطاءها ، وأن عليها أن تصلح من أمرها ، ولا يتم لها ذلك إلا بالتعاون مع آدمها بحيث يصلح كلاهما أخطاءه ، وأن يتحاكما في كل أمر إلى قول الله تعالى ، وقول رسوله ﷺ ، وأن ينحني المخطئ منهما طاعة أمام أمر الله من غير جدال عقيم ، أو تبرير سقيم .

المؤلفة

جدة في ١٤١١/٧/١هـ

بين يدي الكتاب

الحمد لله الذي جعل في أمة محمد رجالاً لهم قلوب واعية تسمع الحق وتُسلم به امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

أمَّا تلك الفئة التي تسمع الحق وتشيح بوجهها عنه إما جهلاً أو كبراً فهي فئة غافلة لا تعد مقياساً ولا حجة على أبناء الأمة الإسلامية ، وقد تسببت هذه الفئة في عرقلة مولد هذا الكتاب لا لشيء إلاّ لأنه موجه إلى الرجل وبقلم امرأة ، فبعد أن منّ الله عليَّ بالانتهاء من الكتابة دفعت بالمؤلَّف إلى إحدى دور النشر المعروفة وكان من عادة صاحبها أن يعرض الكتاب على لجنة يثق هو في علمها وفكرها وسلامة صدرها ، وفوجئت بعد عدة أيام بمظروف كبير يحوي مسودات الكتاب مع خطاب من أحد أعضاء اللجنة تكاد ألفاظه يلتهم بعضها بعضاً ، وأحسست بأنَّ كل كلمة ، بل كل حرف في الخطاب يتسابق لصفعي .

لم أصدق ناظري في بداية الأمر واتهمت عقلي بالقصور ، وعاودت قراءة الخطاب مرات ومرات بُغية مراجعة النفس ، ثم أخذت اقرأ مسودات الكتاب ، وأراجع أفكاره فكرة فكرة ، وأعرضها على المنظور الإسلامي ، فالرجل كاد يتهمني بالخروج عن الإسلام ، وذكر في ذلك أحاديث وآيات يحضرني فيها قوله ﷺ : (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**) ، واتهمني بالتطاول على خيرة شباب محمد ﷺ ، وأنه لا يحق لي أن أنصِّب نفسي حكماً في مثل هذه القضايا ، ولا أعرف كيف فاته أنَّ كل موضوع كنت أحتكم فيه إلى آية أو

حديث ــ ولكنه الغضب ــ أما هــو فقد سمح لنفسه أن يكون حكماً جائراً علــى المرأة ، فقد ذكر في طيات خطــابه أنه حكم في مشــكلات زوجيــة كثــيرة ، وكانت المــرأة دائماً هي المخطئة ، وهي سبب المشكلة ، وأنهال على المـــرأة لوماً وتقريعاً ــ سبحان الله ــ

وبعد معايشتي لألفاظ الرجل وتراكيب جمله أيقنت أنني لا بد قد كويته على جراح تصرخ ألماً وغضباً .

وقد بلغت عدد صفحات خطابه ما يربو على خمس عشرة صفحــــة كلـــها ترمي إلى تثبيط همتي ، وتفزيعي وتخويفي من عقاب الله إن صممــــت علــى ظهور الكتاب ، ولكن كلمة الحق أبت إلا الظهور فخرجت منه على حين غفلـــة حيث ذكر في ثنايا هجومه أنَّ الكتاب يمتاز بأسلوب شيق يجبر القـــارئ علــى الانتقال من سطر إلى سطر دون ملل أو كلل .

ثم عاودت التجربة مع عدد من دور النشر ولكنها باءت بالفشل مما زادنـــي عزماً وتصميماً على إسماع آدم ما يدور في نفس **حواء** ، فارتحلت وكتـــابي إلى دار نشر في غير مدينتي مكثت فيها حتى اطمأننت على ولادته بعد طـــول عسر .

وما كاد الكتاب يتنفس حتى تصدى له شخص آخر من المسؤولين فـــي دار النشر بعد أن سمع تعليقات بعض زبائنه من الرجال الذين ابتلوا ببعض العيــوب المذكورة في صفحاته ، فطلب منّي سحب الكتاب منه ، مما أثار فـــي داخلــي الشعور بالغبطة والانتصار ، فهاهو صوت **حواء** ، وهاهي همســـاتها بـــدأت تمس قلب آدم وتلفته إليها .

سحبت الكتاب وأخذت أوزع بعضه مجاناً ، وصممت إن رفضت دار النشر

والتوزيع القادمة توزيعه فإنني سأوزعه مجاناً بأكمله ، وسأطبعه طبعات عـــدة أوزعها مجـــاناً أيضاً . وبالفعل نقلته إلى دار ثالثة مكث عندها شـــهوراً ، ثـم اعتذر صاحبها بحجة أن بعض زبائنه من الرجال لم يرق لـــهم الكتـــاب لأنــه يتحدث عن الرجل وبقلم امرأة .

وسحبته للمرة الرابعة . والعزم في داخلي يزداد ويدفعني إلى المسير حتى قيض الله جهة رسمية ابتاعت جميع النسخ لتوزيعها مجاناً .

هذه رحلتي مع دور النشر ، أمّا ما وصلني من آراء حـول الكتـاب مـن بعض الرجال الذين لم يفقهوا حقوق المرأة كما جاءت في الهدي المحمدي فقـد رأيت فيها عجباً ، فقد ذكرت لي بعض النساء أنّ أزواجهن حين قرأوا عنـوان الكتاب رفضوا الاطلاع على محتواه ، وذكروا أنهم ليسوا بحاجة إلـى توجيـه امرأة . ومنهم من اتهمني بجرح كبريائه ورجولته ، وبعضهم صرّح بأنّ الكتاب لو كان بقلم رجل لوجد إقبالاً وصدى في نفس الرجل .

ولكنني لا أنكر بأنني في خلال مسيرتي الشاقة قد قيـض الله لـي رجـالاً تشربوا التربية المحمدية ووعوها بقلوبهم وعقولهم ، وتمثلوا بها فـي سـلوكهم وعرفـوا قيمة المـرأة وآمنوا بحقـوقها ، وامتثلـوا لوصيـة المصطفى ﷺ : (**استوصوا بالنساء خيراً**) ، فشجعوا ظهور الكتاب ، وأثنوا على فائدته ، وأنّ على كل رجل أن يقرأه ليفهم نفسية حواء ، ويتعرف على مطالبـها ، فالكتـاب يحوي سلوكيات خاطئة قد تصدر من الرجل دون أن يلتفت إلى مردودها علـى المرأة . علماً بأنّ الكتاب لقي رواجاً وإقبالاً كبيراً من النساء لأنه يعـبر عـن مكنونات أنفسهن .

ولعل دار المحمدي للنشر والتوزيع وتبينها لفكرة إعادة نشر الكتاب لتمثـل

هذه الفئة الواعية التي تسعى إلى بناء الأسرة المسلمة على الأسس الإسلامية الصحيحة ، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء .

وأخيراً أحبه أن أنبه إلى أنّ كثيراً من القراء قد أشاروا عليّ بتغيير اسم الكتاب (همسات جريئة في أذن آدم) ، فكان اقتراح الناشر تسميته (يا معشر الرجال رفقاً بالنساء) ليكون مقابلاً للكتاب الموجه للنساء (يا معشر النساء رفقاً بالرجال) .

كما أنني قمت ببعض التغيرات في الأسلوب والفكرة بناء على ما وصلني من آراء قيمة أعتز بها وأدعو لأصحابها بالأجر والثواب .

وأتمنى على جميع القراء أن يرسلوا إليّ بوجهات نظرهم فإنني على استعداد على تقبل آرائهم والعمل بما يتماشى منها مع الكتاب والسنة .

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني والجميع للعمل الجاد الذي يساعد على الارتقاء بالأسرة المسلمة والمجتمع الإسلامي .

د . نجاح أحمد الظهار

اعترافات حواء

هذه همسات جريئة حبستها حـواء في صدرها زمناً طويــلاً لعــل آدم يتنبه من تلقاء نفسه ، فيلمح آمالها وآلامها ، ولكن طال الزمن وآدم مستغرق في ذاتيته يطالب دوماً بحقوقه المشروعة ، وقد جند قلمه وعلمه وذكـــاءه فــي خدمة قضاياه ، فصدرت الكتب بلا عدد تعرِّف حواء حقوق آدم عليها .

وألقى الكثير تبعية اختلال ميزان الأسرة على أكتاف حـواء والكل يلومها إن هي قصرت ، والكل يؤنبها إن هي أهملت .

وانشغل آدم بإلقاء اللوم على حـواء ، وبالتنقيب عن الأدلة الشــــرعية التي تدينها .

وحـواء المسكينة تستمتع بعقــلها وقلبها ، وتحاول جـــــاهدة أن تلبــي المطالب التي قد أُحكمت حججها ... إنها تلهــث في تعب وشقاء بـــالغين فــي سبيل حماية حصن الأسرة من التهدم والانهيار ... ولكنها لا تقـــوى ... إنـــها تضعف في منتصف الطريق ... إنها حائرة ... لماذا تفشل مرات ومرات فـــي الحفاظ على مملكتها على الرغم من محاولاتها العديدة ؟!! .

إنها تنظر إلى آدم نظرة استجداء تطلب منه أن يمد لها يد العــون ... أن ينتشلها من حيرتها ... أن ينقذ معها جنتها .

فهلاً رحمت يا آدم نظراتهــا اللهفى ، وتنازلت عن برجك العاجي ؟!!

هلاّ أخذت بيد حـواء ليسير مركب الحياة في هدوء وأمان ؟!!

لماذا يمعن آدم القرن الخــامس عشــر فــي إذلال حـواء ، وهضــم حقوقـــها ؟!!

لماذا يريد آدم القرن الخامس عشر أن يعيد تاريخ حواء في الجاهلية الهمجية ؟!!

هل نسي آدم أن الإسلام قد كرم حواء ، وجعلها تتربع على عرش الحرية ، وألبسها تاج العز والمجد ، وحطم بذلك كل قيود العبودية الجاهلية العمياء ؟!!

حواء التي أوصى بها سيد الخلق في آخر خطبة له ، فقال :

« **استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان** (١) **ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً . إنَّ لكم من نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً ، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن** » (٢).

وكان ﷺ دائماً ما يوصي بالنساء ، فيقول : « **استوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً** » (٣)

* حواء يا آدم ـ تطالبك بتنفيذ هذه الوصية الطاهرة ، هذه الوصية التي هي بمثابة تنبيه ، وتحذير لآدم من الاستجابة لصوت الجاهلية التي قد

---

(١) عوان : أسيرات .

(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح باب حق المرأة على الزوج ٣/١ وذكر الألباني أنه حديث حسن صحيح . انظر : إرواء الغليل : ٩٦/٧ ــ ٩٧ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب النكاح . باب الوصاة بالنساء : ٣٤/٧ .

تستيقظ في نفسه ، وتغريه برجولته ، وتحمله على اضطهاد **حـواء** .

* **حـواء تعترف** .. بأنها لم تعرف ، ولن تعرف ديناً أعاد إليها كيانـــها وبصَّر آدم بقيمتها ، واعترف بمشاعرها وعاطفتها مثل دين الإسلام .

* **حـواء تعترف** .. بأنها لم تعرف ، ولن تعرف نبيــاً كريمــاً رحيمــاً عطوفاً عليها كمحمد بن عبد الله ﷺ .

وهذا الكتاب تخاطب فيه **حـواء** آدم الذي لم يأل جهداً في إلقاء تبعيـــة فشل الحياة الزوجية على عاتقها .

في هذا الكتاب تهمس **حـواء** بجرأة في أذن آدم ، وتذكره ببعض مثالبه التي هي المعول الأساس في هدم الأسرة ، وتقويض معالمها .

* **وحـواء تعلم** .. بأن مثل هذا الحديث لن يروق لآدم ، ولن يعجبـــه وسيعتبر ذلك تمرداً من **حـواء** ، وطعناً في رجولته .

* **حواء تلمح** آدم وهو يمط شفتيه امتعاضاً ، ويقرن ما بين حاجبيـــه استنكاراً ، ويشيح بوجهه مستغرباً ، كيف تجرأت **حـواء** على بوح مثل هـــذا الحديث ؟!!

لا شك أن آدم بعد قـــراءة حديث **حـواء** سوف يشحذ هممه في البحـث عن أدلة واهيــة تطالب بالحد من تعليمها ، ولكن **حـواء** لن تكترث ، لأنـــها تعلم أن مربي البشرية قد قال : ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)) .(١)

* **حـواء يا** آدم .. تأمل منك أن تجلس بجوارها تناقشها بموضوعيــة في المشكلات التي تهدد كيانكما معاً .

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم : ٤٤/١ ، رقم الحديث ١٨٣.

* وقبل هذا وذاك **فحواء** تعترف بأن سبب مشكلاتها هو عاطفتها التي تدفعها دوماً للصفح عن خطايا آدم .

* **حواء تعترف** .. بأن سذاجتها هي التي جرأت آدم عليها .
* **حواء تعترف** .. بأنها ستجند وقتها وقلمها في المطالبة بحقوقها .
* **ولتطمئن يا آدم ، فحواء** تعترف بأن قوتها في ضعفها ، فهي حين تهمس في أذنك لا تقصد بذلك التمرد والعصيان ، والخروج عن دائرة طاعتك .

هذه الهمسات إنما هي محاولات تسعى **حواء** من خلالها إلى إقامة حياة هانئة وسعيدة بجوار آدمها .

* **حواء تعترف** .. بأنها لا تستطيع قيادة الأسرة بمفردها .
* **حواء تعترف** .. بأنه لا غنى لها عن آدمها .
* **حواء تعترف** .. بحاجتها إلى عضد تستند إليه كلما داهمها التعب .
* **حواء تعترف** .. بحاجتها إلى يد حانية تمسح عن جبينها العرق كلما أضناها الأرق .
* **حواء تعترف** .. بكل حقوق آدم المشروعة له في الإسلام ، وهي تسعى جاهدة إلى تحقيقها .
* **حواء تعترف** .. بذلك كله ، وترجو من آدم أن يعترف هو الآخر بحاجته إليها .
  - وأن يعترف كلاهما بحاجة الأسرة إليهما معاً .
  - وأن تعترف الأسرة بحاجة المجتمع إليها .
  - وأن يعترف المجتمع بحاجة الأمة الإسلامية إليه .

آدم وجمال حواء

إنَّ آدم ينظر إلى حواء نظرة سطحية واهية ، إنه يطلبها طويلة بيضاء ، زرقاء العين أو خضراءها ، ذات شعر ذهبي ناعم هفهاف !!!

إنَّ هذه المطالب مجانبة للصواب مجافية للحقيقة لأنها لا تتلاءم مع أوصاف بنت الجزيرة وفتاة الصحراء التي تسطع فيها الشمس نهاراً كاملاً ، فتتلون الأجسام بالألوان الجذابة .

إنَّ هذه المطالب أغفلت ذلك الارتباط الوثيق بين العوامل الجغرافية والصفات الجسمية البشرية !!!

فبالرجوع إلى أي مرجع جغرافي سهل نستطيع أن نعلم منه :

أثر المناخ في الإنسان من حيث لون البشرة ، القامة ، تقاطيع الوجه والجسم ، شكل الشعر .

فإنَّ للمناخ أثراً في صفات الإنسان الجسمية ، فيتغير لون البشرة تبعاً للضوء والحرارة ، فهي تلفح الوجه ، وتجعله أسمر أو أسود ، لذلك نرى أن الجنس القوقازي النوردي ناصع البياض ، والألبي أبيض ، والقوقازي بحر متوسط في أوروبا أقل بياضاً ، والقوقازي بحر متوسط في شمال أفريقيا قمحي ، وفي شمال السودان أسمر ، والقبائل القوقازية في الحبشة وبعض أجزاء الصومال لونهم أسود حالك فحمي .

وتعد شبه الجزيرة العربية من سلالة البحر المتوسط ، ويطلق على هذه السلالة اسم السلالة السمراء ، وتمتاز بالبشرة السمراء ، والرؤوس عادة طويلة ، والأنوف متوسطة سواء في الطول أو الضيق ، والمظهر الجانبي

للأنف غالباً ما يميل إلى الاستقامة ، أما العين فلوزية ، والشفاه متوسطة ، ولون الشعر بني غامق ، أو أسود مجعد أو مموج ، أما القامة فتميل إلى المتوسط ، وتمتاز سلالة البحر المتوسط التي تقطن المنطقة الصحراوية بالقامة المتوسطة النحيفة ، والبشرة السمراء ، ولكن الشعر أكثر تجعيداً ، ويلاحظ زيادة التجعيد كلما توغلنا جنوباً في الصحراء الكبرى.[1]

وبعد هذه المعلومات السهلة التي غابت عن ذهن آدم ، فإن حواء القرن الخامس عشر ترفض أن ينظر إليها آدم بهذا المنظار الجمالي المختل .

وهي ترفض أن تكون مسلاة للرجل ، ولعبة جميلة بين يديه فقط .

حواء تود من آدم أن يعترف بفكرها ، بعقلها الذي هذبه الدين واعترف به .

حواء تذكرك بقول خير مربي ﷺ الذي رفض أن يُتخذ المال أو الجمال مقياساً أوْ حداً لحواء ، فقال : « **تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك** ».[2]

ولكن فهم بعضهم أنَّ الجمال هو المطلوب ، لتقدم لفظه في الحديث ، وغفلوا عن أن المصطفى ﷺ إنما أراد بذكر هذه الصفات أولاً بيان رغبات آدم العامة في المرأة ، وهذه الرغبات أنكر الرسول ﷺ أن تكون مقياساً لحواء ، فوضح في آخر الحديث المقياس الصحيح في اختيار حواء فقال : « **فاظفر بذات الدين تربت يداك** » .

---

(١) أصول الجغرافية البشرية : فؤاد محمد الصقار ــ محمود رشيد الفيل ، الطبعة الثانية : ٧٧ ــ ٨٠ ، وانظر كذلك : جغرافية العالم الإسلامي ، محمود أبو العلا : ١٣٦ ــ ١٣٨ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين : ٩/٣ .

ولننظر إلى الصياغة اللغوية ، والتركيب البلاغي لهذا المقياس ، وما يوحي به من دلالات ، لقد جاء به بفعل الأمر المقرون بالفاء (فاظفر) مما أكسب الفعل قوة الحث والترغيب مع المبادرة السريعة في تنفيذ هذا الأمر ، وعدم التباطؤ فيه .

وقال ﷺ في حديث آخر : « **لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل** » .(١)

وقال ﷺ : « **الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** » .(٢)

وجعل المصطفى ﷺ المرأة الصالحة أنفس من الذهب والفضة وهي أفضل من اكتناز المال على ضروبه وأنواعه ، فعن ثوبان قال : لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا : فأي المال نتخذ ؟ قال عمر : فأنا أعلم لكم ذلك ، فأوضع على بعيره ، فأدرك النبي ﷺ وأنا في أثره ، فقال يا رسول الله أي المال نتخذ فقال : «**ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة** » .(٣)

ولكن كثير يماطل ويتقاعس عن تلبية هذا التوجيه محتجاً بحجج واهية ، **حجته** .. أن الجمال يدفعه إلى غض بصره عن المحرمات ، وبه يعف نفسه ،

---

(١) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب تزويج ذات الدين : ٥٩٧/١ . رقم الحديث ١٨٥٩ ، جاء في الزوائد في إسناده الأفريقي ، هو عبد الله بن زياد بن أنعم ، ضعيف ، والحديث رواه ابن حبان في صحيحه بإسناد آخر ، انظر : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة : ٣٢٦/١ .

(٢) أخرجه مسلم والنسائي وأحمد واللفظ لمسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر : ٥٦/١٠ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب أفضل النساء : ٣١٢/١ .

ويعصم شهوته من الانحراف .

حـواء تقول :

ليس هناك من هو أوعى من رسـول الله ﷺ ، ولا أكثر فهماً منـه بحاجـات النفوس ، ولا أخبر منه بطرق كبح الشهـوات ، ولو كان منطق الجمال وحـده سليماً لكان الرسول ﷺ أول من أخذ به ، ونبه إليه وحث عليه ، ولكنه قـال : ((**أيما رجل رأى امرأة تعجبه ، فليقم إلى أهله ، فإن معها مثل الذي معها**)) .[1]

ويطيب لحـواء أن تطلع آدم على سر جمالها ، فتقول :

إن نواحي الجمال في المرأة ليست هي الشكل العام ، والمظهر الخـارجي الزائف .

♾ ***إن جمـال حـواء*** .. في ورعها ، وتقواها الذي يزيد قلبـها نـوراً وإيماناً ، فتقر عين آدم وتهنأ .

♾ ***إن جمـال حـواء*** .. في حـرارة عاطفتهـا ، وتوهج مشـاعرها ، فتتحرك نحوها أحاسيس آدم ومودته .

♾ ***إن جمـال حـواء*** .. في لين عريكتها ، ورقة طبعها ، فتبرز مـن خلالها شخصية آدم وقوته .

♾ ***إن جمـال حـواء*** .. في نظرتها الحانية ، وصوتها الدافئ ، فيجـد آدم سكنه عندها .

♾ ***إن جمـال حـواء*** .. في بسمتهـا التي تـزيد وجهـها نضـارة ، وقلب آدم بهجة وسروراً .

---

(١) رواه الدارمي وصححه الألباني ، انظر سنن الدارمي ١٤٦/٢ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة :٧٤/٣ .

🙞 ***إن جمـــال حــواء*** .. في وعيها ، ولا أقول في علمها المكتسب مــن أجل الشهادة ، وإنما في علمها الواعي المستمد من نبع الإسلام الصافي .

🙞 ***إن جمـــال حــواء*** .. في مدى إدراكها لمسؤوليتها الحقيقة تجاه بيتـها وأولادها ، ومجتمعها ، وأمتها .

🙞 ***إن جمـــال حــواء*** .. في قدرتها ، بل في رغبتها في العطاء المستمر البناء .

🙞 ***إن سر جمـــال حــواء*** .. لم يدركه بعد إلا القلة من أبناء آدم الذين يملكون إيماناً عميقاً ، وعقلاً واعياً ، وإحساساً مرهفاً يدرك مواطن الجمال .

❑ **استمع إلى قصـــة آدم** الذي تنبه بعد غفـلة إلى سر جمـــال حـــواء ، فأدرك به سعادته ، وقرت به عينه .

➜ هو شاب مبتعث عقد قرانه بطريق الوكالة ، ولم ير عروسه إلا وقـــت البناء بها ، فلما وقع بصره عليها رغب عنها لقلة جمالها ، وأدار ظـــهره وراح في سبات عميق ، فلم يشعر إلا وهي توقظه لصـــلاة قيام الليـــل بصوت دافـــئ حنون ، وتنضح على وجهـــه الماء في رقة بالغة قائلة : أنا مـــا تزوجـــت إلا لأجد من يعينني على العمل بهذا الحديث وهو قوله ﷺ : ((**رحم الله رجلاً قـــام من الليل فصلى وأيقظ امـــرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، رحـــم الله امـــرأة قـــامت من الليل فصلت ، وأيقظت زوجهـــا ، فإن أبى نضحـــت فـــي وجهه الماء**))(١).

وهنا شعر آدم بقشعريرة تسري في جسده ، وهزة لا يعرف كنهها تهـــز

---

(١) رواه أبو داود (واللفظ له) وابن ماجة وهو حديث صحيح : انظر : سنن أبي داود : ٣٣/٢ رقم ١٣٠٨، صحيح سنن ابن ماجة : ٢٢٣/١ رقم ١٠٩٩ .

قلبه ، وتنفض عنه أحاسيس زائفة كانت تهيمن عليه ، فاستنارت بصيرته .

رفع نظـــره إليها فرآها غير تلك المرأة ، رآها بمقياس جمال لا تدركه إلا القلوب المؤمنة حقاً ، رآها من ساعتها أجمل نساء العالمين .

هذا هو آدم الإيماني .. الذي أدرك الجمال بقلبـــه وإيمانـــه ، لا بنظـــره وهواه فقط .

➜ ***أما آدم الآخر*** .. فقد تقدم إلى صديق له يلح عليه في البحث له عـــن عروس ، واشترط آدمنا شروطاً خيالية تتطرق إلى الجمال الجسدي الظـــاهر والباطن .

فهبت زوج صديقه ومعها فرقة كاملة من الصديقات الموثـــوق بنظرتـــهن العالية للجمال للبحث عن هذه المواصفات ، ولكن أنَّى لهن ذلك ؟! أنَّـــى لـــهن البشرة البيضاء الناصعة الشفافة ، والعين الملونة بـــألوان الطيـــف ، والشـــعر الأصفر الذي انعكس لونه على أشعة الشمس فاستمدت منه ضوءها و .. و ..

حفيت أقدام فرقة البحث عن التحف النادرة ، حفيت أقدامهن وهـــن يجبـــن البلاد ، ويطفن بالعباد وسط ذوات الخدر الحسناوات الجميلات ، فيقابل آدمـــنا ترشيحهن بالشجـــب والرفض ، حتى نضب زاد الفرقة وألقت عتادها ، فغضب صاحبنا ، وهجر صديقه ردحاً من الزمن حتى كان ذلك اليوم الذي طرق فيـــه الباب ، وعلامات الفرح تسبق كلماته ، والسرور يشيع على محيـــاه ، وبســـمة النصر ترتسم على كل ملامحه .. ثم عقد القران والكل يغبط هذا الشاب علـــى عروسه التي لا يكاد يوجد توأمها على الأرض .

مـــرت الأيام والسنون ، ويعود الشاب طارقاً باب صديقه ، وعلامات الحـــزن تسبق كلمـــاته ، فهو شاحب الوجه ، منكسر القلب دامع العيـــنين يخبر صديقـــه

بانفصاله عن زوجه بعد أن أنجبت له ثلاثة أطفال ، وذلك لدناءة مخبرها ، وسوء عشرتها ، ومرارة منطقها وتطاولها عليه وعلى والديه ، فلم يعد يراها تلك المرأة الجميلة التي خطبت له ، وسرقت فؤاده ، فقد طمس سوء طبعها معالم جمالها .

لا بد أن هناك هاجساً في نفسك يتساءل : *ما بال* **حواء** تشجع القبح وتزدري الجمال ؟!!

على رسلك يا أخي ...

حواء .. لا تزدري الجمال الطبيعي ، وإنما تزدري المقياس الجمالي العقيم الذي وضعه **آدم** ، وهو لا يناسب **حواء** القرن الخامس عشر ، بل لا يناسب بنت الصحراء .

وهي لا تزدري أن يكون مفهوم الجمال عند آدم مفهوماً سطحياً قاصراً يسيء إلى ذات **حواء** ... إلى جوهرها ... إلى فكرها ... إلى كرامتها ...

وهي تزدري أن يكون هذا المفهوم السطحي للجمال هو المقياس الأوحد الذي تتوقف عليه مطالب **آدم** ، ومن ثم تتعرقل حركة البناء الأسري ، الذي هو غاية الزواج ، وبذلك نعطل قوله ﷺ :

« تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة » [(١)].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، وأحمد في مسنده ، والطبراني في الأوسط ، وصححه الألباني / انظر : موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، كتاب النكاح : ٣٠٢ رقم الحديث ١٢٢٨ ، ومسند الإمام أحمد ١٥٨/٣، ٢٤٥ ، إرواء الغليل : ١٩٥/٦ .

آدم وحواء الصغيرة

إني لأعجب من آدم الذي حصل على أكبر الشهادات ، وتربع على عرش أكبر المراكز أن تبقى نظرته إلى حواء النظرة الموروثة من العصر الجاهلي ، بل ربما تبرأ منها العصر الجاهلي وعزاها إلى عصور ما قبل التاريخ .

كيف لم تتهذب نظرته ، ولم تتغير فكرته مع التغيير الفكري والحضاري الذي شمل العالم منذ بزوغ فجر الإسلام ، وحتى عصرنا هذا ؟!!

تراه متحضراً في منظره ، وفي مأكله ، ومشربه ، ومسكنه ومركبه ، بليغاً وفيلسوفاً في منطقه ، ولكن نظرته إلى حواء ما زالت نظرة رجعية متخلفة قد حفظها في صندوق عقلي محكم الإغلاق حتى لا تمر بها نسمات من الحضارة فتفسدها .

لماذا يطلب رجل متعلم قد بلغ من العمر مبلغه أن يقترن بفتاة تصغره بسنوات عديدة ، بفتاة يفصل بينه وبينها بون شاسع من العمر ومن الفكر ، ومن الخبرة والوعي ؟!!

تُرى ما الدافع الذي يدفعه لمخالفة القانون الحضاري الذي انتهجه في كل جوانب حياته .. لا شك أنها الرغبة الجاهلية في السيطرة على المرأة ، وإخضاعها لجبروت الرجل !!!

فإذا اقترن آدم بحواء الصغيرة استطاع – على حسب زعمه وزعم النظرات الموروثة – أن يربيها على يديه ، وعلى مزاجه الخاص وكأنها جهاز الكتروني يبرمجه بالبرنامج الذي يرغبه .

وإما أنه يرى أن **حواء** الصغيرة لعبة تستطيع أن تتحمل نزواته الصبيانية وتتوافق معها ، فهو إذاً يريد من **حواء** أن تكون لعبة يلهو بها فقط . وفي هذا امتهان لها أي امتهان .

وإما أن يكون هذا الاختيار عائداً إلى فقدان ثقة **آدم** بنفسه ومقدرته على التعامل مع **حواء** الجديدة ، ففضل أن يعيش متقوقعاً داخل مملكة يحكمها هو.

وحواء تتعجب .. كيف يستطيع **آدم** الناضج فكرياً ، وعقلياً وجسمياً ، وعاطفياً أن يتفاعل مع فتاة لا تتوافق مع مركباته ، ولا تتواءم مع احتياجاته ؟!!

بل تتعجب من منطقه في فهم الحياة الأسرية . وبناء دعائمها على السيطرة ، والرجولة الزائفة ؟!!

كيف هو طعم تلك الحياة التي تقوم على الأمر ، والنهي ، وفرض الرأي ؟!!

هل غاب عنك يا **آدم** أن السعادة الأسرية لا تتحقق إلا بالتفاعل العاطفي ، والوجداني ، والفكري ، والجسمي ، بين **آدم وحواء** ، وهذا التفاعل لا يتم إلا بمعادلة صحيحة من مكونات **آدم وحواء**؟!!.

يقول ابن الجوزي :

(ينبغي للعاقل أن يتخير امرأة صالحة من بيت صالح .. وليتزوج من يقاربه في السن . فأما الشيخ فإنه إذا تزوج صبية آذاها ، وربما فجرت ، أو قتلته ، أو طلبت الطلاق . وهو يحبها فيتأذى) [1]

قد يعترض **آدم** على هذه المقولة محتجاً بزواج الرسول ﷺ بالسيدة عائشة

---

(١) صيد الخاطر : ٤٠٧ .

رضي الله عنها ، ولكني أجيب : بأن الرسول ﷺ حين تزوج السيدة عائشة لـــم يتزوجها للسيطرة عليها ، ولم يحقرها لصغرها ولم يهملها ، بل تراه قد رباهـــا تربية إيمانية أخرجت للأمة الإسلامية عالمـــة ، ومحدثـــة ، وفقيهـــة يقصدهـــا الرجـــال والنساء . وشتان ما بين نظرته لحواء الصغيرة وبين نظـــرة آدم اليـــوم .

آدم ورفض حواء

في المطاف الطويل الذي يسلكه آدم في بحثه عن **حواء** يظهر غرور آدم بنفسه ، فإذا ما طرق باباً **لحواء** خاطباً ، فرفضته ، لأنها لا ترى فيه وجهاً يلائمها ، فإنه يزبد ويربد ، ويحتج بأي حق ترفضه **حواء** هذه !!!

أما كان لها أن تحمد ربها ، لأنها تفضل عليها وطرق بابها !!!

ثم يلجأ إلى استعمال قوته التي عززها المجتمع الذي ما زال ينظر إلى المرأة نظرة جاهلية ، ويبدأ في التنديد بالمرأة ، ويعمل على سلخها من كل حقوقها الشرعية التي حباها إياها الإسلام ، الإسلام الذي أعطاها الحرية المطلقة في اختيار الزوج الذي تريد طالما أنها على مقدرة تؤهلها لهذا الاختيار .

قال ﷺ : ((**لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا يا رسول الله ، وكيف إذنها ؟؟ قال : أن تسكت**)) [١] .

لقد راعى الإسلام الاستعداد العاطفي ، والنفسي للمرأة ، فالبكر يمنعها حياؤها من التصريح برغبتها في الزواج ، فإذا صمتت فصمتها معناه القبول والرضا .

أما المرأة التي خبرت الرجال ، ودخلت عالمهم فلا يحق لأحد تزويجها إلا بأمر صريح منها .

والمرأة في الإسلام لها حق الرفض لأدنى سبب ترى أنه يعكر عليها صفو حياتها .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا ينكح الأب وغيره البكر ، والثيب إلا برضاها : ٣/٢٣ .

* **فهذه امرأة ثابت بن قيس** قد رفضت زوجها لا لاعوجاج في خلقه ، ولكنها حين رأته بين الرجال كرهته(١)

فاحترم الإسلام هذه الخفقة العاطفية التي لا يستنكرها الكثير .

فالإسلام الواعي .. أدرك أن المرأة إذا لم تكن صادقة العاطفة ، فلن تكون صادقة العطاء ، فعلى (آدم) الواعي أن يمتلك عاطفتها أولاً ، فيملك بذلك مفاتيح السعادة معها .

عليه ألا يصر على الاقتران بفتاة رفضت الزواج منه لأي سبب من الأسباب ، بل عليه ألاَّ يستاء ويتضجر إن مر بمرحلة الرفض هذه وهناك من الرجال من تثور كرامته ثورة باطلة زائفة إذا رفضته **حواء** ويلجأ إلى طرق عقيمة يحاول فيها الانتقام لكرامته المهدورة ، فيجري إلى الوسطاء تارة ، ويلجأ تارة أخرى إلى إغراء أب قد أينعت في نفسه بذور الطمع ، فيبيع ابنته مقابل حفنة زائلة من المال ، أو قد يزعج ذلك الأب تمرد **حواء** على رغبته فيستعظم الأمر ، ويستقبح جرأتها على الرفض .

وتساق **حواء** إلى مذبح الزوجية لتلقى الهوان تلو الهوان !!

* **وإنِّي لأذكر قصة تلك الفتاة الصغيرة** التي وافقت بادئ أمرها على الاقتران برجل ، فلما رأينه صحبها غيرن نظرتها إليه ، فعافته نفسها فاستكبر والدها الأمر إذ كيف يطيح بكلمته أمام الرجال ؟؟

---

(١) ذهبت امرأة ثابت بن قيس إلى الرسول ﷺ تطلب منه أن يطلقها من زوجها وذكرت له السبب قائلة : (رفعت جانب الخباء في ليلة الزفاف فأقبل في عدة من الرجال ، فإذا هو أشدهم سواداً ، وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً وبي من الجمال ما ترى ، ولست أعتب عليه يا رسول الله في خلق ودين ، ولكني أكره الكفر في الإسلام) . البخاري ، كتاب النكاح ٦٠/٧/٣ .

وعلم بذلك الخطيب بموقف خطيبته ، فأشفق على رجـولته أن تتحطـم ، فاتفقت رجولة الاثنين على تجاهل عاطفة الفتاة ، وأحكما الخطة !!

ففي ذات يوم حين كانت الفتـاة عائدة من مدرستهـا إلى البيت بصحبـة والدها ، فوجئت بالأب وهو يغير طريق المنزل ، ثم أوقف السيارة أمام عمـارة لم يسبق لها أن رأتها ، ولكنها لم تتجرأ على السؤال .

أمرها الأب بالنزول فنزلت ، وقد بدأ قلبها يدق دقات الخطر ، وتلاحقـت ضربات القلب كأنما تريد أن تفر من شدة الخوف .

طرق الأب إحدى الشقق ، وفُتح الباب ، وإذا بها وجهاً لوجه أمام خطيبـها الذي كرهـته ، توقف قلبها لحظـة ، وجحظت عيناهـا ، وتجمدت نظراتـها ، وبدأت جحافل الكره تزحف مسرعة من كل حـدب وصـوب لتسـكن جميـع جوانحها ، استفـاقت من لحظة الذهول ، وأحست بالمؤامرة ، فرفعت رأسـها الصغير ، ونظرت إلى والـدها نظرات يصعب على أكـبر محلـل نفسـي أن يفسـرها فهي خليط من الضعف والـذل والتوسل والاستنجاد ، والاستفسـار واللوم ، والحقد والكره ، والحزن العميق ، وتجمدت الدمـوع في محـاجرها ، لأن تلك النظرات العميقة قد سدت عليها المنافذ .

لم تلق نظـراتها الكسيرة صدى في قـلب الوالد الذي هربت مـن قلبـه الرحمة ، وقتلت في نفسه عاطفة الأبوة بيد الرجولة الحمقاء ، فاستدارت الفتـاة تنشد الهرب ، ولكن أسرعت إليها يد أبيها تجرها من جديلتها الطويلة الجميلـة، وزج بها عنوة داخل وكر الزوجية ، وتركها وذهب لتلقى مصيرها المجـهول .. رضخت الفتاة مكرهة ، وعاشت أياماً لا يعلم مرارتها إلا الله ، عاشت سـجينة بين جدران منزلها ، نعم سجينة فعلاً ، لأن ذلك الزوج كان يخاف هروبها فيعمد

إلى إغلاق الباب في خروجه ودخوله .

وقد حاول الذئب المغتصب أن يستميلها ويسترضيها ، فبذل لـــها المــال ، وهيأ لها كل الأمور المادية .. ولكن هيهات فعاطفة الحب قد نزحت من قلبــها ، وهاجرت إلى غير رجعة .. هاجرت وهي تجر ذيول الأسى والحزن ..

في عالم النساء يُرمى بالحمق ، والسفه ، والجهل مــــن يحــاول امتــلاك الأجساد قبل العاطفة .

وتمر الأيــام ثقيلة كئيبة .. إلى أن بلغ الفتــــاة خــبر احتضــار والدهــا واستدعيت على عجل ، فوالدها يلح في رؤيتها . لقد شعر بخطئه الفادح بعـد أن بلغت الروح الحلقوم .

وفي تلك اللحظة الأليمة الحرجة نظرت الفتاة في عين والدها فرأت فيــــها الضعف ، رأت فيها التوســل إنها نفس نظرتهــا له يوم زج بها إلى ســجنها ، وتذكرت تلك اللحظات الأليمة ، ورأت شريط حياتها المؤلمة يمر بسرعة أمــــام ناظريها ، فزجرت كل عاطفة هاجت في نفسها إزاء أبيها ، فسنة الحياة اقتضت أن الميت لا يعود ، وعاطفتها قد ماتت ودفنت . وصاحت بكلمــات خلت مـــن كل عطف ... بكلمات رسمت كل خيوط حياتها المأسوية ... بكلمـــات يصعــب على أي إنســـان حي نطقها في مثل هذه الظروف والملابسات وخاصـــــة فـــي موقف الأبوة والبنوة ... فقالت بكلمات تقطر لومــاً وكــرهاً ... قالت بعصبيــة واضحة : لن أسامحك يا والدي حية كنت أم ميتة .

وهــاكم نموذجاً آخر مختصراً ...

* **شاب رفضته قريبة له** ؛ لأنها لم تجد فيه ما تصبو إليه ، فما كان منه إلا أن باع عقيدته ، وسلك سبل الشيطان ثأراً لكرامته المذبوحة ، وأقسم في نفســه

أن يمنعها من الاقتران بآخر ... وقدم نفسه للشيطان ولجأ إلى السحرة .

لقد أصيبت الفتاة بآثار ذلك السحر بتقدير من الله وإرادة منه ؛ ليكون لها امتحاناً ، فما كانت تعقد على فتى ترتضيه حتى يطلقها فتقع فريسة المعاناة النفسية الشديدة ، وتقاسي ما تقاسي من الآلام ، وقد تكررت معها التجربة عدة مرات باءت جميعها بالفشل . لقد علمت الفتاة بأمر هذا السحر من فم قريبها بعد أن استيقظ ضميره متأخراً بفعل العقوبات الإلهية التي صُبَّت على رأسه ، فقلبت حياته جحيماً ، فاضطر إلى العودة إلى جادة الحق ، ويستغفر لماضيه المقيت .

وهذه ليست قصصاً فردية من معاناة المرأة في اختيار الخاطب إنما هي نموذج بشري يحكي ما يتكرر لحواء على صفحات الأيام .

آدم والتعدد

من شمول المنهج الإسلامي وعمقه إباحته التعدد ، واشتراطه العدل بين الزوجات ، قال تعالى : **﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعولوا ﴾**[1].

فمسألة التعدد في الإسلام قد طال فيها الحديث ، وتضاربت فيها الآراء بين مؤيد متعصب لهذا الأمر حيث جعله فريضة على كل مسلم ، وأنّ أصل الزواج أربعة ، حتى أن بعض المتطرفين يرى أن الاكتفاء بواحدة إنما هو من أعمال النصارى .

وبين رافض للموضوع رفضاً باتاً ، ويرى أن الأصل في الإسلام واحدة .

وحواء ترى أن التعدد أمر مشروع مباح مشروط بالعدل ، فإذا فُقد هذا الشرط ، فالالتزام بواحدة هو الطريق الأسلم والأكثر ورعاً .

وعلى **حواء** ألا تنكر أمر التعدد جرياً وراء عاطفتها ، وإلاّ تكون قد خرجت من الملة .

ولكن ليس هناك دليل شرعي يجبرها على الزواج بآدم الذي يرغب في التعدد ، إنما عليها قبل الإقدام على هذا الأمر أن تفكر فيه مراراً وتكراراً ، وأن تكرسه من جميع النواحي المادية والمعنوية .

وألاّ تقبل به تحت أي ضغوط ، أو إقناع خارجي ، فلا بد أن تكون على اقتناع داخلي تام بطبيعة الحياة المقدمة عليها ، مع مقياس دقيق لمتطلباتها

(١) سورة النساء : ٣ .

ورغباتها وقدراتها ، فإن وجـدت في نفسها القدرة على التكيف في ظـل هـذه الحـياة ، فلتتوكل على الله وتقدم عليها بثبات وثقة ؛ لأن ما تقوم به ليس عيباً ولا حراماً إنما هو حق مشروع .

وحـواء التي تجد في نفسها نقصاً في المقدرة على التكيف في ظل هـذه الحياة عليها ألاَّ تشعر بالذنب لأنها رفضت ـ وهذا ما يحاول بعضهم إشـعارها به ـ وعليها ألاَّ تخاف من شبح العنوسة الذي يحاول المجتمع بأسره أن يخيفـها منه ، ولتعلم أنه شبح أنيس لطيف إذا عرفت كيف تتعامل معه بذكاء ووعـي ، ولتعلم أن الإسلام لم يجبرها ، ولم يلزمها ولم يفرض عليها أن تـتزوج بـآدم المعدِّد إلا إذا رغبت هي في ذلك .

وعلى آدم .. الذي يرغب في التعدد أن يكون تقياً ورعاً يخشى الله ويتقيه في السر والعلن ، وأن يتحقق من كفاءته في العدل وصـدقه في التطبيـق ، أي أن يكون على قدر كبير من الموضوعية مع نفسه أولاً ، ثم مع أسرته .

على آدم .. أن يكون ذكياً فطناً ماهراً في الحساب ، ليتمكن من مراجعـة حساباته ألف مرة ومرة ، ويقيس حاجته للتعدد ، وأن لا يقدم على هذه الخطـوة لمجرد إبراز رجولته ، أو تقليداً لصديق له ، أو عناداً لشخص ما ، أو إشـباعاً لرغبة جنسية طارئة ، متجاهلاً كل الأمور الشرعية المتعلقة بالتعدد .

وقد نصح ابن الجـوزي في كتابه صيد الخـاطر كل من دفعتـه شـهوته وأغرته بالإكثار من النساء ، فقال :

(أكثر شهوات الحس النساء ، وقد يرى الإنسان امرأة في ثيابها فيتخـايل أنها أحسن من زوجته ، أو يتصور بفكره المستحسنات ، وفكره لا ينظر إلاَّ إلى الحسن من المرأة ، فيسعى في التـزوج والتسري ، فإذا حصل له مراده لم يزل

ينظر في عيوب الحاصل التي ما كان يتفكر فيها فيمل ، ويطلب شيئاً آخر ، ولا يدري أن حصول أغراضه في الظاهر ربما اشتمل على محن ، منها أن تكون الثانية لا دين لها ، أو لا عقل لها ، أو لا محبة لها ، أو لا تدبير فيفوت أكثر مما حصل .

وهذا المعنى الذي أوقع الزناة في الفواحش ، لأنهم يجالسون المرأة حال استتار عيوبها عنهم وظهور محاسنها ، فتلذهم تلك الساعة ، ثم ينتقلون إلى أخرى .

فليعلم العاقل أن لا سبيل إلى حصول مراد تام كما يريد :

﴿ **ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾[(١)].

وما عيب نساء الدنيا بأحسن من قوله عز وجل :

﴿ **ولهم فيها أزواج مطهرة** ﴾[(٢)].

وذو الأنفة يأنف من الوسخ صورة ، وعيب الخلق معنى ، فليقنع بما باطنه الدين ، وظاهره الستر والقناعة ، فإنه يعيش مرفه السر ، طيب القلب ، ومتى استكثر ، فإنما يستكثر من شغل قلبه ، ورقة دينه)[(٣)].

وللأسف كل الأسف نجد أن كثيراً من الشباب الذين ينادون بالتعدد ، ويتشدقون به في مجالس الرجال يفتقرون لميزان العدل .

فنراهم قد أقدموا على هذه الخطوة بطرق عشوائية ، فقد توهموا مقدرتهم على العدل تحت ضغوط نفسية أملتها عليهم رغباتهم الملحة حتى كأنهم لم يفهموا من الآية إلا الجزء الأول منها ، وهو قوله تعالى :

---

(١) البقرة : ٢٦٧ . (٢) البقرة : ٢٥ .

(٣) صيد الخاطر : ٢٦١ ــ ٢٦٢ .

﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع** ﴾[1].

ونسي (آدم) في غمرة فرحته بالثانية ، أو هو تناسى قضية العدل التي هي الركن الثاني للتعدد والمتمثلة في بقية الآية :

﴿ **فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة** ﴾[2].

فتعاظم في نفسه أن يخاف ، وهو بطل الأبطال ، فظن أن صفة الخوف في الآية ذم وتحقير يجب أن يترفع عنهما ، وغاب عنه أن ذكر الخوف هنا تنزيه لآدم ، وحثّ له على التورع ، وتنبيه له من الوقوع في الظلم فيأتي يوم القيامة وقد مال شقه ، كما في قوله ﷺ : ((**إذا كانت عند الرجل امرأتان ، فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط**))[3].

وتركيب الآية الكريمة :

﴿ **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾.

فيه حث على الاقتصار على الواحدة .

فمجيء الفاء في جواب الشرط (فواحدة) ، وحذف الفعل الزموا ـ أي الزموا واحدة ـ دليل على الحث الشديد على التمسك بالواحدة هذا في حالة الخوف من عدم العدل ، ولمجرد الشعور الداخلي بعدم القدرة عليه ، ومعنى ذلك أن الإنسان يجب أن يختلي بنفسه ، ويختبر مقدرته وصدقه في إمكان العدل ، فإن توجس خيفة ، عليه أن يتورع ، ويوازن بين رغبته في التعدد وبين مقدرته على تحمل أعباء الظلم ومغبته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

---

(١) النساء : بعض الآية ٣ .   (٢) النساء بعض الآية : ٣ .

(٣) رواه الخمسة والدارمي وابن حبان ، واللفظ للترمذي في كتاب النكاح ، باب التسوية بين الضرائر : ٢٨٥/٤ ، وأخرجه الحاكم على شرط الشيخين . تحفة الأحوذي للمباركفوري : ٢٩٥/٤ .

هذا حاله في الآخرة ، أما حاله في الدنيا ، وهو يتخبط بين زوجاته لعدم مقدرته التوفيق والعدل بينهن يصوره لنا الشاعر في أبياته التالية :

تَزَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ لِفَرْطِ جَهْلِي ... بِمَا يَشْقَى بِهِ زَوْجُ اثْنَتَيْنِ
فَقُلْتُ أَصِيرُ بَيْنَهُمَا خَرُوفاً ... أُنَعَّمُ بَيْنَ أَكْرَمِ نَعْجَتَيْنِ
فَصِرْتُ كَنَعْجَةٍ تُضْحِي وتُمْسِي ... تَدَاولُ بَيْنَ أَخْبَثِ ذِئْبَتَيْنِ
رِضَا هَذِي يُهِيجُ سَخْطَ هَذِي ... فَمَا أَنْجُو من إِحْدَى السَّخْطَتَيْنِ
وأَلْقَى فِي الْمَعِيشَةِ كُلَّ ضُرٍّ ... كَذَاكَ الضُّرُّ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ
لِهَذِي لَيْلَةٌ وَلِتِلْكَ أُخْرَى ... عِتَابٌ دائِمٌ في اللَّيْلَتَيْنِ
فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَبْقَى كَرِيماً ... مِنَ الخَيْرَاتِ مَمْلُوءَ اليَدَيْنِ
فَعِشْ عَزَباً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْهُ ... فَوَاحِدَةٌ تَكْفِيكَ شَرَّ الضَّرَّتَينِ

وقول الشاعر (فعش عزباً) ربما يكون موضعاً لاعتراض الكثير ، بأنه خارج عن المنهج الإسلامي ، ومناف للفطرة .

أقول : إن قولته هذه إنما هي زفرة وصيحة ، ولَّدتها تجربته المؤلمة مع زوجتيه ، ولا يقصد بها دعوة حقيقة للعزوبية ، ودليل ذلك أنه أعقبها بقوله : (فواحدة تكفيك) وفيه دعوة للزواج بواحدة ، وهذا رأيه الذي تمخض عن تجربة ذاتية قاسية ، وهو لا ينافي الإسلام في شيء فإن الله تعالى يقول :

﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾[1].

وإنه لأمر مريع ما نسمعه من شفاه النساء ، وما ينطق به لسانهن من سوء معاملة الأزواج الذين أقدموا على التعدد بحماس مجهول ، فأساءوا إلى هذا النظام الحضاري الواعي ، وقلبوا صورته في الأذهان ، ونفَّروا منه القلوب بما

(١) النساء : بعض الآية ٣ .

يرتكبون من حماقات وجهالات ناتجة عن عدم فهم لمشروعية التعدد ، وأصوله ، وأركانه التي منها (العدل) .

قد يرى بعض أبناء آدم أن هذه المسألة مسألة (عدم العدل بين الزوجات) لا تعدو أن تكون حالات خاصة ، أو نادرة ، فهي إذاً ليست ظاهرة اجتماعية تستحق العرض والبحث والتحليل .

وأنا أقول لهم : إنه ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع إلا كثرة ما سمعت ، وما عايشت من مشكلات أخوات لي في الله .

أما مجالس الرجال .. فإنها لا يمكن أن تحكي ، أو تصور بأمانة واقع المرأة وما تقاسيه ، وإنما هي تحكي مثالية آدم بين زوجاته ، فهي صورة مزيفة للحياة المثالية للرجل المعدّد حتى يتشجع من يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، ويقدم بثقة مهزوزة .

والرجل لفرط كبريائه وغروره يأبى ، ويأنف الاعتراف حتى بينه وبين ذاته بعدم عدله بين زوجاته ، لأنه لو اعترف بينه وبين نفسه بأخطائه ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله ، لكان هذا هو طريق الإصلاح ، وطريق زوال جميع العقبات والصعوبات .

وأنا بدوري أنقل لآدم بصدق بعض ما يدور في مجالس النساء وقبل أن أبدأ في إبراز تلك الصورة أقول :

إن معظم المشكلات التي تعرضها المرأة لم يكن سببها هو التعدد في حد ذاته ، فمعظم الواقعات في هذه المشكلة مسلمات بمشروعية التعدد – وإن ثارت غيرتهن في بداية الأمر – إنما العيب كل العيب في عجز آدم عن تطبيق هذا المبدأ تطبيقاً إسلامياً قوامه العدل ، وأدى به فشله هذا إلى التشبث بقانون التسلط

ليحل به مشكلاته ، ويواري عجزه ويخفيه ، فعالج الداء بالداء .

✹ **فتلك أخت تحكي** .. أنها كانت في مرحلة الوضع الأخيرة تكابد آلامه وويلاته ، وبينما روحها معلقة بين السماء والأرض يدخل آدم مبتسماً يعلن عن زواجه بالثانية !!!

أما كان من الرأفة والرحمة والإنسانية يا أخي أن تقف معها في هذه اللحظات الصعبة القاسية تخفف عنها آلامها ، وتمسح عنها قطرات العرق التي تتفصد من جبينها ؟!!

أتعلم يا أخي : أن هذا الأمر لم يكن ليكلفك أكثر من كلمات حانية رقيقة ، ومشاركة وجدانية صادقة تسكِّن بها تلك الآلام وتهدئها .

أما كان من حق العشرة عليك أن تختار الزمن المناسب والأسلوب الملائم ، وتوضح لها الأسباب والدوافع بطريقة مقنعة وتسلك معها السبل التي ترضيها ، صحيح أن حواء ستثور عاطفتها وتتمرد ، ولكن هنا تظهر الرجولة الحقيقة في مهارتها ومقدرتها على ترويض هذه العاطفة الطبيعية الجامحة .

ستقول يا آدم : إن الشرع لم يشترط عليَّ أن أخذ إذن الزوجة .

وهذا صحيح .. ولكن الشرع في نفس الوقت لم يعن بذلك أن تتفنن في اختراع الأساليب التي تقهر بها المرأة ، وإنما ترك التصرف في الأمر لحنكتك وفطنتك في معالجة الأمور تعويلاً على حسن العشرة وحق القوامة .

← **وانظر إلى آدم الآخر** الذي تجاهل غيرة المرأة وعاطفتها ، وأخذ يرغمها على أن تذهب بنفسها إلى بيت العروس الجديدة وتخطبها له .

والويل لحواء إن هي أبدت رفضها ، وخالفت رغبته فهي حينئذ ناقصة دين يجب عليها أن تراجع دينها ، وتصحح عقيدتها ناهيك عن المقاطعة

الزوجية الكاملة ، والتهديدات المتعاقبة .

وهنا أقول لآدم .. هل سمعت يوماً في سيرة المصطفى ﷺ أنه أرغم إحدى زوجاته بأن تخطب له ؟؟

ألم تسمع بغيرة أمهات المؤمنين حين خطب رسول الله ﷺ ابنة الجون(١) وأراد أن يبني بها ، فقلن لها إذا أقبل عليك رسول الله ﷺ فاستعيذي بالله ، فلما أقبل عليها رسول الله ﷺ استعاذت بالله منه ، فقال لها : لقد استعذت بمعاذ ، فطلقها قبل أن يدخل بها .(٢)

وهذا دليل على طبائع البشر ، وأن الغيرة أمر فطري في المرأة .

* **واسمع إلى حواء** .. وهي تذرف دمعاً ساخناً على المعاملة القاسية التي يعاملها بها زوجها منذ فكر في الاقتران بأخرى مع افتقاره إلى الباءة التي تمكنه من فتح بيت شرعي إلاَّ أن آدم أمام هذه الرغبة الملحة في الزواج تنازل عن كرامته ، وأخذ يطالب زوجته في إلحاح مقيت أن تقرضه مالاً حتى يتمكن من الزواج ، فكان تارة يهددها ، وتارة يتودد ويتحبب إليها كي تعينه مادياً ليحقق رغبته هذه ، وحين رفضت ذلك ــ وهذا بلا شك أمر طبيعي أن ترفض ــ انقلب على عقبيه ، وبدأ في إعلان الحرب عليها ومقاطعتها ،

---

(١) اختلف في التي استعاذت منه ﷺ فقيل هي عمرة بنت يزيد الكلابية ، ويقال هي كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان . السيرة النبوية لابن هشام : ٤١٧/٤ ، وجاء في صحيح البخاري : (حدثنا الأوزاعي قال : سألت الزهري أي أزواج النبي ﷺ استعاذت منه قال : أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها : إن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال لها لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك . البخاري ، كتاب الطلاق ، باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق : ٥٣/٧/٣ .

(٢) جاء في دلائل النبوة : ٢٨٩/٧ (أخبرنا سعيد بن قتادة أن نبي الله ﷺ دخل بثلاث عشرة ، واجتمع عنده منهن إحدى عشرة ، وقبض على تسع ، فأما اثنتان منهن ، فأفسدهما ، فطلقهما ، وذلك أن النساء قلن لإحداهما إذا دنا منك ، فتمنعي فتمنعت فطلقها) .

وهجرها أياماً وليالي إلى جانب رشقها بالكلمات التي تذبح الأفئدة ، وتهتك كل أواصر المحبة بين الزوجين .

وحواء تقول : إن الإسلام قد أعطى آدم شرعية التعدد ، ولكن لم يعطه أبداً شرعية أن يكون مهر الثانية من مال الزوجة الأولى !!

حواء لم تسمع قط في سيرة سيد الخلق ﷺ ، أو سيرة الصحابة ، أو التابعين ، أن أُجبرت المرأة على إعطاء زوجها مالاً ليتزوج به أخرى !!

بل نجد الإسلام لعظمته وسماحته أثبت للمرأة حق الملكية بجميع أنواعها ، والتصرف في مالها بكل الطرق المشروعة ، فشرع الوصية والإرث لها كالرجال ، وزاد على ذلك ما أوجبه على الرجل من مهر ونفقة وإن كانت المرأة غنية ، بل وأعطاها حق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة ، وسمح لها بالدفاع عن مالها والمطالبة به .

ألم تسمع قوله تعالى :

﴿ وءاتوا النساء صدقاتهن نحلةً فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾(١)

أي إن تنازلت المرأة عن بعض حقها في المهر عن رغبة منها ورضا دون إكراه أو إجبار عن طريق سوء العشرة أو المعاملة ، ودون اللجوء إلى أساليب المكر والخداع فلآدم أن يأكله هنيئاً مريئاً أي سائغاً لا تنغيص فيه ، فإن طلب منها شيئاً وحملها الخجل أو الخوف على الاستجابة له ، فلا يحل له أخذه ، لأن أي مال أخذ بسيف الحياء ، فهو مال حرام .

← **وذاك آدم آخر** لا يملك المقدرة المادية التي تمكنه من تلبية ضرورات

---

(١) النساء : ٤ .

الحياة . فهو يتلقى معوناته من عائلة الزوجة ، ومع هذا نراه يصر على الزواج بالثانية ؛ لأنه سمع خطيباً في المسجد يحث على التعدد إنقاذاً لبنـــات **حـــواء** اللواتي ضاقت بهن جدر المنازل ، فشعر في نفســه أنه واحد من فرق الإنقـــاذ التي يجب أن تلبي النداء .

ولا شك أن الإمـــام حين ألقى خطبته ما كـــان يقصـــد ــ والله أعلـــم ــ المبادرة بالزواج من غير أن تكون لدى الشخص الباءة .

وقد ازدادت الأدلة على آدمنا هذا وتكالبت عليه الحجج ، فجاره قد تزوج بأخرى ، وصديقه الآخر لديه مشروع الزواج بالثانية ، فهو ليس بـــأقل منـــهم رجولة ، وكأن التعـــدد ميدان سباق لعبدة الذات واللذات ، وهكذا انقلبت حياتـــه إلى جحيم ، فهو قلق النفس ، محطم الفؤاد ، كسير الخاطر ، وانعكست نفســيته القلقة على زوجتـــه فهربت المسكينة تجر أذيالها ، وانقهر الاســـتقرار وجمـــع أمتعته ورحل .

وآخر ما توصل إليه آدمنا هذا هو شراء سيارتين بالتقسيط . ثم يبيعـــها في الحراج فيقبض الثمن ، ويقدمه مهراً للعـــروس الجديدة ، ولم يفكر في كيفية تسديد الأقساط . وكيفية إعالة أسرتين معاً ، علماً بأن تسديد الأقســـاط شـــهرياً يساوي راتبه الشهري كله !!!

وكل ما فكر فيه ليخرج من مأزقه هذا هو أن يغري زوجته بالعمل خـــارج البيت على بساطة شهادتها . وأن تعمل بأجر زهيد يسد بعض مصروفها هـــي وعيالها ليتمكن هو من التسول على أهل الخير ليساعدوه في مصروف البيـــت الثاني ؟!!!

← **وهـــذا آدم الـــذكي** الذي استطاع بذكائه أن يقنع الجميع ــ ومنهـــم

زوجته ـ بأنه ما أراد الزواج إلا ليُدمل جـراح العانسة ، ويعصم المطلقـة ، ويعف الأرملة . فلما وافقه الجميع وأثنوا على شهامته ، وصفقوا لرجولته . فإذا به يتزوج بفتـاة في عمر ابنتـه ـ بكر ـ بيضاء ـ جميلـة ، وعندمـا رأى الاستغراب يكسو وجه الجميع . اعتذر إليهم بأنه تذكر قوله ﷺ : ((**هـلاّ بكـراً تلاعبها وتلاعبك**)) .

وإليك (آدم) **ثـان** قد تلفح في ثياب الخداع ، واشترى منها ألواناً ولـه في كل موقف ثوب أجمل من الآخر .

تراه وقد تعمم بالإسلام ، ليضفي على شخصيته مزيداً من الوقار ليسـرق الثقة من قلوب الناس . تقدم (آدم) المخادع لإحدى الأسـر الكريمـة خاطبـاً ، فاستطاع بخداعه أن يأخذ بمجامع القلوب ، فهو يجيد التحـدث عـن الإسـلام والجهاد ، وحين سمعت به **حـواء** أحبته لدينه وفضلته . على من تقدم إليـها في ذلك الوقت ؛ لأنها على حد قولها تحلم بحياة إسلامية سعيدة في ظل رجـل إيماني .

وتنازل الأهل عن كثير من التقاليد والعادات التي قد تقف عائقاً في وجـه هذا الزوج المثالي النادر ، ومهدوا له كل السبل ، فلم تكلفـه هـذه الزيجـة إلا دريهمات معدودة قدمها مهراً للعروس ، وأقنع الأهل بأنه وإن كان فقير الحـال فهو غني بالإيمان ، وقد استطاع بخداعه أيضاً أن يوهم الأهل بأنه طالب علـم مبتعث للخارج ، فلا داعي لتأثيث منزل شرعي الآن ؛ لأنه سيصحب عروسـه إلى موطن دراسته ، ووافق الأهل بحسن نيـة ، وتـم الـزواج ، وخرجـت العروس ومعها حقيبـة ملابسها فقط ، وبعد أيام قلائل اكتشفت أنـها عـروس رحالة ، فقد سـافر العـريس بعد أن وضع عراقيـل كثيرة تمنعه من أخذهـا

معه ، وظلت العروس تطوف بحقيبتها بين المنازل والديار تنتظر رجوع فتى الأحلام ، ومضت الأيام والأسابيع والأشهر ، وهو يتفنن في اختلاق المعاذير .

وأخيراً هب الأهل من نومتهم ، وطالبوه إما بتركها وطلاقها ، أو بأخذها معه ، وبعد طول أخذ ورد جاء العريس المنتظر ، وظن الأهل أن المشكلة قد أخذت في الانقراض ، ولكنهم فوجئوا به يطوف معها المنازل والديار ، وأحياناً يتركها في بيت صديقه بلا سؤال عنها ، وحين تسأله عن السبب يذكر لها أن لديه عملاً مهماً يستوجب عليه عدم البوح بتحركاته ، وأخيراً اكتشفت المسكينة أن عمله المهم هو انشغاله بوضع خطط وأساليب محكمة لخداع حواء أخرى ، وبالفعل نجح في إيقاعها في شباكه ، واكتشفت أيضاً أن سبب رفضه لاصطحابها إلى الدولة المبتعث إليها هو زواجه بثالثة هناك .

وقد وجد بعض أبناء آدم حلاً لمشكلة الباءة التي قد تقف حجر عثرة في طريق كثير منهم ، فأخذ يشترط في الزوجة الثانية أن تكون عاملة لتأتيه ــ على حد قوله ــ ومعها وعاؤها ووكاؤها ، لتكفيه مؤونة النفقة على البيت الثاني .

لقد نسي آدم أن تفكيره هذا قد عرّاه من رجولته حين تنازل بنفسه عن أحد ركني القوامة وهو النفقة . إذاً ما مهمة آدم في البيت ؟!!

وكيف تحدد شخصيته في دائرة هذا التفكير المعوَّج ؟!!

ما الفائدة التي تجنيها المرأة عندما تقترن برجل تزوج مالها ؟!!

هي تقدم لآدم المال مقابل أن يهديها ساعات من اللذة الباطلة !!!

إذاً هي مقايضة ممقوتة ينكرها الإسلام لما فيها من إجحاف للمرأة .

قال ﷺ : ((**لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا**

تزوجهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل)) .[1]

ولعل الذي يدفع حواء لقبول مثل هذه المقايضة هي نظرة المجتمع لها ، **فالكل يصرخ في وجهها** : أن الحقي وأدركي القطار الذي فاتك مهما كانت وسيلة الوصول إليه .

الكل يصرخ : أن تزوجي بأي رجل يتقدم إليك ما دام المهم أن تنجبي طفلاً يعينك على نوائب الدهر ، فالصحف قد امتلأت بآراء الصغار والكبار ، المتعلم منهم والجاهل ، فالكل أراد أن يدلي بدلوه في مشكلة حواء هذه .

وأمام هذه الصرخات التي قد أقلقت مسامع حواء ، وصكت آذانها فضلت أن تشتري زوجاً لتسد به أفواه المؤنبين . وقد وجد آدم أن سعره قد ارتفع في أسواق العانسات ، فأخذ يفرض نفسه وذاته ، ويعلي من قيمته الشرائية .

وكم من آدم أهمل بيته وأولاده لعدم مقدرته التوفيق بين مطالب البيتين إلى جانب مطالب أصدقائه .

← **فذاك** آدم الذي ينادي بعدم جواز خروج المرأة إلا مع ذي محرم فلما تزوج بالثانية سقط الأمر من يده ، وأصبح يرسل بناته الصغيرات وهن في عمر الزهور الرطبة مع سائق أجنبي ولمسافات طويلة يومياً ، لإيصالهن إلى المدرسة ، ويترك زوجته تلف في الأسواق الساعات الطوال لتقضي حاجاتها وحاجات البيت والأولاد ، وإذا ذُكِّرَ آدم تشدق قائلاً : (الضرورات تبيح المحظورات) ، والآخر أهمل اصطحاب أولاده على المائدة القرآنية ، فانصرف

---

(١) سبق تخريجه انظر ص : ١٧ من الكتاب .

الأولاد إلى الاهتمام بكرة القدم ، وبقية الألعاب والملهيات بعد أن كانوا في مقدمة صفوف حُفَّاظ القرآن ، فإذا ما ذَكَّرَه مذكِّر بحال أولاده قال :

﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾[1] .

ومن أبناء آدم من احتال للأمر ، فترك زوجته الأولى في بلده بعد أن كبلها بالأولاد .

وترك عبء البيت ومسؤولياته العريضة عليها وحدها ، يعاونها سائق أجنبي . وظن أنه بتوفير السائق لها قد وفر لها كل احتياجاتها .

وسافر هو للعمل في بلد آخر ، ومن هناك أخذ يرسل إليها ترنيمات عذبة توضح لها عدم مقدرته العيش بمفرده ، فهو يخشى على نفسه الفتنة والانحراف، فالزواج في حقه واجب ، وهو لا يستطيع استقدامها ، لأن مصلحة الأولاد تقتضي جلوسها في بلدها .

وتزوج وهو قرير العين ، وانصب اهتمامه على البيت الثاني ، أما البيت الأول فأصبح شركة قديمة يزورها بين الفينة والفينة ، ليراقب سير العمل فيها ، ثم يعود إلى منتجعه ، فهو يعتقد أنه بعمله هذا قد وجد العذر الذي يقدمه بين يدي الله إذا ما سئل عن بيته الأول .

← **وذاك آدم الوقور** الذي يبجله كل من يراه لاستقامته وحسن سيرته التي استقاها من سيرة الرسول ﷺ العطرة ، فهو فيما يبدو قرأ كل سيرة المصطفى ﷺ ما عدا سيرته مع زوجاته وعدله بينهن ، فقد أغمض عينيه عنها وأشاح بوجهه متجانباً إياها .

فهو يتلذذ بتعذيب إحدى زوجاته نفسياً ، فقد لاحظ فيها شدة الغيرة ، ورأى

---

(١) القصص : ٥٦ .

تلهفها عليه ، وتمسكها به ، وكم من مرة رآها وهي تترمض أسـى ، وتتقلب على جمر الغضى إذا رأته ذاهباً للأخرى .

فتضخمت الأنا عنده وشعر بفرح يغمره ، فهذه إحدى بنات **حواء** قد شغفها حباً ، وكلما أراد أن يشعر بذاته تفنن في إثارة غيرتها بمدح الزوجة الأخرى ، والإعلاء من شأنها ، والانتقاص من قيمتها هي ، وإبداء عدم الرضا عنها ، وازدراء أي عمل تقوم به ، واتهامها بالسذاجة ونقصان العقل ، ويلجأ أحياناً إلى هجرها وضربها تطبيقاً للسنة ــ على حد زعمه ــ في تأديب المرأة ، ولأنه يرى أن هذه الطرق هي الطرق السليمة في معالجة الغيرة ، ولم يكلف نفسه النظر في القرآن والسنة بحثاً عن العلاج الناجع لهذه العاطفة التي تسيطر على نفوس كثير من النساء .

لقد اعترف الإسلام بغيرة المرأة ورأى أنها أمر طبيعي ناتج عن حدة العاطفة مع تفاوت في درجاتها في نفوس النساء .

فلو كانت الغيرة الطبيعية خلقاً ممقوتاً لتنزه عنها أمهات المؤمنين وهن أطهر النساء وأتقاهن .

* **فهذه عائشة ــ رضي الله عنها ــ** كانت تغار من ذكر خديجة وهي الضرَّة التي لم ترها ، ومع ذلك لم تستطع كبح جماح غيرتها .

روي عنها أنها قالت : ((**ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها ، وثنائه عليها ، وقد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت لها في الجنة من قصب**)) .[1]

كما كانت ــ رضي الله عنها ــ تتنازعها الغيرة على الرغم من علمها

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب غيرة النساء ووجدهن : ٤٧/٧/٣ .

بعدل الرسول ﷺ ، ومساواته بين نسائه في النفقة والمعاملة فعنها رضي الله عنها قالت : ((ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ قلنا : بلى ، قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه ، وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه ، وبسط طرف إزاره على فراشه ، فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت ، فأخذ رداءه رويداً ، وانتعل رويداً ، وفتح الباب ، ثم أجافه رويداً ، فجعلت درعي في رأسي ، واختمرت ، وتقنعت إزاري ، ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع ، فقام ، فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف ، فانحرفت ، فأسرع ، فأسرعت ، فهرول ، فهرولت ، فأحضر فأحضرت ، فسبقته ، فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت ، فدخل فقال : مالك يا عائشة حشياً رابية ، قالت : قلت : لا شيء قال : لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير قالت : قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته قال : فأنت السواد الذي رأيت أمامي قلت : نعم فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ، ثم قال : ((**أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله** .....)) [1]

ومن غيرتهن رضي الله عنهن ما نزل فيهن في قوله تعالى :

﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفورٌ رحيمٌ ﴾[2]

روت عائشة في سبب نزول الآية : (أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ، ويشرب عندها عسلاً ، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها

(١) صحيح مسلم ــ كتاب الجنائز ــ باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها : ٦٧٠ رقم ٩٧٤ .

(٢) سورة التحريم : ١ .

النبي ﷺ فلتقل إني أجد فيك ريح مغافير ، أكلت مغافير ، فدخل على إحداهما فقالت له ذلك ، فقال : لا بل شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش ، ولن أعود له ، فنزلت : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ إلى أن ﴿ **إن تتوبا إلى الله ...** ﴾ لعائشة وحفصة) [1].

ومن غيرتهن رضي الله عنهن ، أنهن كن يتحزبن حزبين فقد روي : « أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين ، فحزب فيه عائشة وحفصة ، وصفية وسودة ، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة ، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، بعث صاحب الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس ، فيقول من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه ، فكلمته أم سلمة بما قلن ، فلم يقل لها شيئاً ، فسألنها ، فقالت : ما قال لي شيئاً ، فقلن لها فكلميه ، قالت : فَكَلَّمَتْهُ حين دار إليها أيضاً ، فلم يقل شيئاً ، فسألنها فقالت : ما قال لي شيئاً ، فقلن لها فكلميه ، قالت : فَكَلَّمَتْه حين دار إليها أيضاً ، فلم يقل شيئاً ، فسألنها فقالت : ما قال لي شيئاً ، فقلن لها كلميه حتى يكلمك ، فدار إليها فكلمته ، فقال لها : لا تؤذينني في عائشة ، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة ، فقالت : أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله ، ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول : إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلمته ، فقال : يا بنية : ألا تحبين ما أحب

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الطلاق ، باب لم تحرم ما أحل الله لك : ٥٦/٧/٣ ـ ٥٧ .

قالت : بلى ، فرجعت إليهن فأخبرتهن ، فقلن ارجعي إليه ، فأبت أن ترجع ، فأرسلن زينب بنت جحش ، فأتته فأغلظت ، وقالت : إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة ، وهي قاعدة ، فسَّبتها حتى أن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تكلم . قال : فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها قالت : فنظر النبي ﷺ إلى عائشة ، **وقال : " إنها بنت أبي بكر الصديق "**.[1]

وللنظر إلى الموقف النبوي الحكيم من هذه الحادثة ، لم يكن بيده ﷺ أن يتحكم في رغبات الناس ، وأن يشترط عليهم في الهبات وأماكنها ، وأوقاتها ، فهذا الأمر متروك للواهب ، وحين حصلت المشادة بين عائشة وزينب بنت جحش ــ رضي الله عنهما ــ ولاحظ ﷺ تعدي زينب على عائشة لم يتدخل هو في الدفاع عنها ، ولم تغلبه عاطفته نحو عائشة في النيل من زينب أو الإساءة إليها ، وإنما نظر لعائشة حتى تقتص لنفسها ، فتكلمت .

وفي موقفه هذا أدب رفيع يجب أن يسلكه الرجل مع زوجاته بأن لا يقحم أنفه بينهن ، فيميل بدفاعه إلى بعضهن ، فيوغر صدر الأخريات عليه ، وينصب العداء بينهن .

ومن مواقفه ﷺ التربوية ما رواه أنس قال : ((**كان النبي ﷺ عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام ، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت ، فجمع النبي ﷺ فِلَق الصحفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفة**

(١) صحيح البخاري ، باب الهبة :١/٣/٢٠٤ ــ ٢٠٥ .

الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها ، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت))[1].

فماذا كان موقف المصطفى ﷺ ؟؟ هل لطمها على خدها ؟؟ هل استهزأ من عاطفتها الثائرة ؟؟ بل على العكس لقد احترم ثورتها ، ولم يؤنبها على ما فعلت ، بل قام بنفسه ﷺ وجمع أجزاء الصحفة المتكسرة ، وطلب منها أن تعيد لأختها إناء صحيحاً بدلاً من الذي كسرته ، كل ذلك بأسلوب هادئ لطيف يروض كل عاطفة جامحة إذاً لم يأمر الإسلام بضرب المرأة التي تسيطر عليها الغيرة ، ولم يأمر بهجرها ، لأن في ذلك إثارة وإلهاباً لغيرتها فتصبح غيرة شعواء ممقوتة .

ومن الطرق النبوية السمحة في معالجة الغيرة ... هي مداراة المرأة ومهاودتها ، فمن المعلوم أن الكذب أمر محرم في الإسلام ، وهو من صفات المنافق ، قال ﷺ : ((**آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف**))[2].

وعلى الرغم من شدة تحريم الكذب ، فقد أباحه الإسلام للزوج في التعبير عن عاطفته ، وفي مجاملاته مع زوجاته لتسكين عاطفتهن وتهدئة نفوسهن ، وتقديراً منه لدور العاطفة في حياة المرأة وحياة الأسرة والمجتمع بأسره .

ولم يبح الإسلام الكذب للاحتيال على النساء ومخادعتهن والخروج من بعض المآزق التي تواجه الرجل عند إحداهن ــ كما يفعل آدم أحياناً ــ ولقد وضح المصطفى ﷺ لآدم طبيعة المرأة التي جبلت عليها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا**

(١) صحيح البخاري ــ كتاب النكاح ــ باب الغيرة : ٤٦/٧/٣ .

(٢) البخاري ، كتاب الشهادات ، باب من أمر بإنجاز الوعد ، ٢٣٦/٣/١ .

يؤذي جاره ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً)) (١)

وقال ﷺ في حديث آخر : ((**المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها ، استمتعت بها وفيها عوج**)) (٢).

وهذه الأحاديث ليست انتقاصاً للمرأة كما يحاول بعضهم إثبات ذلك ، بل فيها التماس العذر لبعض سلوكيات **حواء** ، وهو تبصير وتذكير للرجل بطبيعة المرأة ، وإرشاد له إلى طريقة معاملتها باللين والرأفة ، وإعلامه لزوم التغاضي عن بعض سلوكياتها إن كان يلتمس السعادة الحقيقية ، وإن كانت الغيرة بين النساء أمر عام ، فهي بين الضرائر أخص وأشد ، ويحتاج الإصلاح والحكم بينهن إلى رجل يخاف الله ويتقيه .. إلى رجل قد أوتي من الصبر والحكمة قدراً كبيراً .

وحواء .. في آخر حديثها تتساءل ؟!!

- ما حكم الإسلام في الذين يسيئون فهم حقيقة التعدد ويفتقرون إلى أهم عناصره (العدل) ، فيسيئون بذلك إلى مبدأ مهم من مبادئ الإسلام الحضارية ؟
- ما حكم الإسلام في آدم الذي يمتهن حقوق المرأة ويحرمها الكثير منها باسم التعدد ؟
- ما حكم الإسلام في آدم الذي يمتطي صهوة المكر والخداع لتحقيق

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الوصاة بالنساء : ٣٤/٧/٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب المدارة مع النساء وقول النبي ﷺ : إنما المرأة كالضلع ، ٣/٧/ ٣٣ ـ ٣٤ .

فرضية التعدد ــ على حد زعمه ــ ؟

ما حكم الإسـلام في (آدم) الذي لا يمتلك البـاءة ، والقدرة على إقامـة بيت شرعي ثان ؟

ما الهدف من شرعية التعـدد ؟ هل هو فقط تمكين الرجل مـن إفـراغ طاقته الجنسية بأي شكل من الأشكال ضارباً بكل مبدأ وشرع آخر ؟

هذه الطاقة التي أصبحت المشكلة الأساس التي يتغنى بها كل رجل اليـوم ، فالرجل ما إن تصل زوجته الثلاثين من عمرها حتى يسيطر عليه الوهم بأنـها غير قادرة على تلبية مطالبه ، كيف لها ذلك وهو في شرخ الشباب وعنفـوانه ؟ ويصيبه غرور عجيب بمقدرته وطاقاته ... وغفل (آدم) عن أن الله ــ سـبحانه وتعالى ــ قد هيأ المرأة تهيئة تواكب التطورات التي تطرأ عليه .

فالمرأة في سن الثلاثين فما فوق تصبح أكثر نضجاً ، وأعظم عطاء وأقـدر على تلبية مطالب الرجل ــ وهذه هي المرحلة الذهبية في عمر المرأة ــ فلقـد اقتضت السنة الإلهية أن زيادة الرغبة عند الرجل يقابلها زيادة اسـتعداد عنـد المرأة .

صحيح أن هناك فئات من الرجال قد أودع الله فيهم طاقات لم يودعها فـي غيرهم توجب عليهم البحث عن الأخرى ، وهذا أمر لا يمكن إنكاره ، ولكنـها ليست قاعدة مطردة كما نراها اليوم حيث أصبح الأمر هاجسـاً يقلـق معظـم الرجال ، ويشغل حيزاً كبيراً من تفكيرهم ويأخذ جُلَّ وقتهم ، وأصبـح حديـث مجالسهم المفضل ، فشغلوا به عن الجهاد والدعوة .

فعلى (آدم) أن يختبر نفسه ، ويكون صادقاً معها ليعلم صدق هذه الرغـبة ، وهـل يحتاج فعلاً إلى زوجـة أخرى ، وعليه أيضاً أن يختبر جميع إمكـاناته

ومقـدرته ، في تحقيق هذا المطلب ويدرس نتـائج هذا الـزواج على الأسـرة والمجتمع . هل يستطيع بزواجه الثاني والثالث أن يخـرج رجـالاً صـالحين للمجتمع ، أم يخرج أحداثاً عاطلين يكونون عبئاً على الأمة الإسلامية ، فتفكـير الفرد يجب ألا يكـون ذاتياً فردياً محضاً بل عليه أن يربـط تفكـيره بالمنـهج الكوني العام ، فإذا وجد الشخص في نفسه طاقة جنسية زائدة مـع نقـصٍ فـي الإمكانات الأخرى التي تمكنه من الزواج بثانية . وعجزٍ في مواصلة التربيـة الإسلامية لأبنائه ، فليلجأ إلى علاج المصطفى ﷺ حيث قال : ((**من اسـتطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لـم يسـتطع فعليـه بالصوم فإنه له وجاء**)) .(1)

هذا الحديث للراغبين في الزواج من واحدة ، ولا يملكون الباءة والإمكانات التي تخولهم لتكوين أسرة إيمانية ، دلهم المصطفى ﷺ على الإكثار من الصوم فهو عبادة فيها كسر للشهوات .

ومن باب أولى أن يأخذ بهذا الحديث من له زوجة واحدة ولا يملك الباءة .

ومن أراد الزواج بالثانية أو الثالثة ، لأن عنده فضل مال فأنا أقـول لـه : إن كنَّا نفكر حقيقة في مجتمع مسلم مترابط ، وإن كنت أنت يا أخي غيوراً على دين الله . راغباً في درء المفاسد ، هازماً للشيطان حارقـاً لمكـائده ، داحـراً لأنصاره . فعليك بالإيثار ونزع الأنانية المسـيطرة علـى النفـوس بمسـاعدة الراغبين في الزواج ممن لا يجدون المال الكافي فتعتق بذلك رقابهم من النار .. النار التي تنـاديهم وتصطادهم بحـبل شهواتها ، وتكون ممن قال الله فيهم :

﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾(2).

(1) صحيح البخاري . كتاب الصوم ، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة ٣٤/٣/١ .

(2) سورة الحشر : ٩

ولك في الأنصار أسوة حسنة ، فأمر مؤازرتهم للمهاجرين يعد مفخرة للأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل ، فحين خرج المهاجرون من ديارهم فراراً بدينهم استقبلهم الأنصار ، وقاسموهم الأموال والديار حتى أن بعضهم ممن كان عنده أكثر من زوجة عرض على أخيه أن يختار إحدى زوجاته ليطلقها ويزوجها له بعد قضاء عدتها ... جاء في صحيح البخاري :

((**حدثنا إسماعيل ابن عبد الله ، قال حدثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال : لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع قال لعبد الرحمن إنِّي أكثر الأنصار مالاً ، فَأَقسِمُ مالي نصفين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال : بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع ، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ، ثم تابع الغدو ، ثم جاء يوماً وبه أثر صفرة ، فقال النبي ﷺ مهيم ؟ قال تزوجت ، قال : كم سقت إليها ؟ قال : نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب ، شك إبراهيم**))(١)

فهلاً كنت يا أخي أنصارياً لأخ لك يريد أن يهاجر من أرض العزوبة وما فيها من مخاطر ومفاسد إلى أرض الزواج وما فيه من أمن واستقرار ؟!!

وفي نهاية المطاف أقف لأقول : إن للشعر أثره في جلاء الفكرة ، وإبراز العبرة ، وتحريك النفوس ، وحثها على اتباع الصواب ، ولله در الشاعر الإسلامي محمد مصطفى حمام ، فقد صور لنا قضية التعدد في الإسلام ، ولخصها في كلمات قليلة ، وبأسلوب سهل رقيق معبر ، فقال :

---

(١) صحيح البخاري : باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار : ٣٩/٢/٢ .

تَزَوَّجُــوا وَانْظِمُــوا أوْطَــانَنَــا أُسَــرا

لا تَترُكُــوا وَطَــنَ الأمْجَــادِ مُنْتَــثِــرا

لا تَجْعَــلُوا البَــيْتَ والتَّــزْوِيجَ مُشْكِــلَةً

ويَسِّــرُوا مِنْ أُمُــورِ الــدِّينِ مَا عَــسِيرَا

لا تَخْــشَوا الفَقْــرَ كَــمْ مِنْ أُسْرَةٍ شَبِعَتْ

عِــزّاً ومَــالاً ، وفَــرْدٍ خَــابَ وَافْتَــقَرَا

وَلا تَخَــافُــوا شِــقَاقــاً فِــي بُيــوتِــكُمْ

بَلْ اضمِرُوا الحُبَّ يَبْقَى الحُــبُّ مُنْتَصِراً

وَإِنْ تَعَــاضَلَكُــمْ خِــلْــفٌ وَأَعْــضَــلَكُمْ

فَخَــالِــفُــوا آمِــرَ التَّفْــرِيقِ إِنْ أَمَــرَا

وَاستَخْلِــصُوا حَكَماً مِنْ أهْــلِكُمْ وَخُــذُوا

مِنْ أَهْلِــهَا حَكَمــاً وَاستَرْحِــمُوا القَــدَرَا

ولَسْتُ أرْضَى سِــوَى الأهــلِينَ مَحــكَمَةً

ولَيَبْــقَ سِــرِّي وَسِــرُّ البَــيْتِ مُــدَّخِرا

فَإِنْ قَــضَى اللهُ تَفْــرِيقــاً فَــنَــازِلَــةٌ

إِنْ تَــلْقَ صَبْــراً فَطُــوبَى لِلَّذِي صَبَــرَا

وَرُبَمَــا كَــانَ في التَّفْــرِيــقِ مَنْفَــعَــةٌ

قَــدْ يَبْرَأُ الجِسْــمُ مِنْ عُضْــوٍ إِذَا بُتِــرَا

حَيَــاتُنَا صَــفَــقَــاتٌ تِــلْكَ وَاحِــدَةٌ

مِنْهَــا ، فَــذَا رَابِــحٌ فِيهَــا وَذَا خَسِــرَا

وَمَــنْ يُعَــدِّدْ زَوَاجَــاً دونَ مَلْــجَـئَةٍ
فَقَــدْ أَتَــى بِضِــرَارٍ أَوْ أَتَــى ضَــرَرَا
لَيــسَ التَّــعَــدُّدُ إلاَّ رُخْــصَــةً فَــإِذَا
اسْــرَفْتَ فِيهَــا رَكِبْتَ الْحُمْقَ والخَطَرَا
مَــنْ يَنْــتَقِــصْ حَــقَّ أُولاَهُ لِثَــانِيَــةٍ
لَمْ يَلْــقَ مِنْ رَبِّــهِ عَفْــواً إِذَا اعْتَــذَرَا
وَفِي التَّعَــدُّدِ إنْ أَدْرَكْــتَ حِكْــمَتَــهُ
بِــرٌّ وَرُحْــمَى وَجَــبْرٌ لِلَّــذِي كُــسِرَا
مَــنْ لِلْمُطَــلَّقَةِ الحَسْنَــاءِ يَعْصِمُهَــا
وَلِلْعَــوَانِسِ تَفْــنِي عُمْرَهَــا ضَجَــرَا
وَلِلأَرَامِــلِ وَالأَحْــزَانُ تَعْصِرُهَــا
وَالحُــزْنُ يَفْتِكُ بِالأَعْوَادِ إِنْ عَصَــرَا
وَمَــنْ لأُمِّ اليَتَــامَى ؟ هَلْ تَقُــوتُهُمْ
بِالخَــدِّ مُعْتَصِــرَاً وَالقَــدِّ مُهْتَصِــرَا
وَمَــا الغِطَاءُ لِمَنْ زَلَّتْ وَسَاوَرَهَــا
مِــنَ الفَضِيحَةِ طَيْفٌ يُرْسِــلُ النُّــذُرَا
وَمَــا السَّبِيــلُ إلى ذُرِيَّــةٍ نُجُــب
إِنْ كُنْتَ زَوجَ عَقِــيمٍ حَظُّهَــا عَثَــرَا
هُــوَ التَّعَــدُّدُ يَهْدِي الغَــارِقِينَ إِلى
بَــرِّ الأَمَــانِ وَيَبْنِي بَيْتَــنَــا أُسَــرَا

هُوَ التَّعَدُّدُ كَمْ آوى اليَتِيمَ وأشْبَــاهَ اليَتِيمِ
وكَـــــمْ واسَــى وكَـــــمْ سَــتَــرَا
هُــوَ الحَــلالُ الَّذِي يُنَقِّي الحَرَامَ وكَــمْ
حمَى مِنَ الفُحْــشِ أُنْثَى أوْ حمَى ذَكَــرَا
عَــدِّدْ إنِ استَطَعْتَ لَكِــنْ عَــادِلاً لَبِقــاً
لا تُعْطِــينَّ الهَوَى سَمْعــاً وَلا بَصَــرا
وَاحكُــمْ رَعَايَاكَ بِالْحُبِّ الصَّحِيحِ تَجِــدْ
مَغْنَــاكَ لا غِــيرَةً يَشْكُــو ولا غِــيَرَا
وَاسْــأَلْ ضَمِيرَكَ فِي أمْــرِ التَّعَــدُّدِ لاَ
تَلْجَــأْ لِقَــاضٍ ولا تَسْتَــأذِنِ البَّشَــرَا
إذَا جَــرُؤْتَ عَلَى قَــاضِي السَّمَاءِ فَلَنْ
تَكُــونَ بِقَــاضِي الأرْضِ مُزْدَجِــرَا (١)

ومن أنفس الحكم ، وأبلغ المواعظ في هذا الباب قول الإمام ابن الجــوزي فــي صيد الخاطر :

« من أعظـــم الضرر الداخــل على الإنسان كثرة النساء ، وإنه أولاً يتشــتت همــه في محبتهن . ومداراتهن ، وغيرتـــهن ، والإنفــاق عليــهن ولا يــأمن إحــداهن أن تكرهه وتريد غيره ، فلا تتخلص إلا بقتله . ولو سلم مـــن جميــع ذلك لم يسلم في الكسب لهـــن ، فإن سلم لم ينج من السآمـــة لهن أو لبعضهن .

(١) شعراء الدعوة الإسلامية ــ أحمد عبد اللطيف الجدع ــ حسني أدهم جرار : ١٢٠/٤٠ ــ ١٢٢ ، وانظر كذلك : قصائد إلى الأم والأسرة ، حسني أدهم جرار : ٨٩ ــ ٩٠ .

ويطلب ما لا يقدر عليه من غيرهن ، حتى أنه لو قدر على نساء بغداد كلهـــن ، فقـــدمت امرأة مستترة من غير البلد ، ظن أنه يجد عندها ما ليـــس عندهـــن ، ولعمري أن في الجدة لـــذة ، ولكن رب مستور إذا انكشف افتضح ، وإذا ســـلم من كل أذى يتعلق بهن أنهك بدنه في الجماع .

فيكون طلبه للالتذاذ مانعاً من دوام الالتـــذاذ ، ورب لقمة منعت لقمـــات ، ورب لذة كانت سبباً في انقطاع لذات .

والعاقل من يقتصر على الواحدة إذا وافقت غرضه ، ولا بد أن يكون فيـــها شيء لا يوافق ، إنما العمل على الغالب . فتوهب الخلـــة الرديـــة للمجيـــدة[١] ، وينبغي أن يكون النظر إلى باب الدين قبل النظر إلى الحسن فإنه إذا قل الديـــن لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة .

ومما يهلك الشيخ سريعاً الجماع ، فلا يغتر بما يرى من انبســـاط الآلـــة ، وحصول الشهوة ، فإن ذلك مستخرج من قوته ما لا يعود مثله فـــلا ينبغـــي أن يغتر بحركة وشهوة ولا يقرب من النساء إن كان له رأي في البقاء » [٢].

---

(١) أي يغتفر لها الصفة السيئة فيها من أجل الصفة الحسنة .

(٢) صيد الخاطر ، ابن الجوزي : ٣٦١ .

آدم والعلاقات الزوجية

إن العلاقة الجنسية بين الزوجين ليست هي الهدف الرئيسي من الزواج ، ولكنها عامل فعَّال في إنعاش الحياة ، وتماسكها ، واستمراريتها مما يكفل للهدف الرئيسي (الذرية) البقاء .

فإن إهمال دراسة مشكلات هذه العلاقة يصيب الحياة بالتوتر والقلق ، بل ربما تكون هي الأساس الأكبر في الصدع الذي يصيب كثيراً من الأسر ، لأن عدم رضاء الطرفين واقتناعهما بصحة وصدق تلك العلاقة ينعكس على نفسيتهما ، وبالتالي تنعكس هذه النفسية على الحياة الأسرية ، ومنها على المجتمع بأسره ، ولعل السبب في تأزم هذه المشكلة في مجتمعنا هو الغموض ، والتعتيم الذي يغلف هذه العلاقة نتيجة للخجل الذي ترعرع في نفس حواء . أقول الخجل وليس الحياء ، لأن الخجل حالة مرضية مذمومة ، والحياء حالة خاصة صحية محمودة .

وعلى آدم في بلدي أن يعذر حواء ، ويحاول جاهداً معالجة موقفها بالحكمة فهي رهينة ظروف بيئية وأسرية تمنعها من تلبية كثير من رغباته ، فقد تعلمت منذ صغرها أن كل حديث عن هذه العلاقة إنما هو عيب لا يجوز للفتاة التحدث فيه . فقد تُزَّف إلى بيت الزوجية وهي تجهل كل حقائق هذه الحياة ، فتصدم بواقعها صدمة عنيفة تنعكس آثارها حتى آخر حياتها إن لم تجد آدم واعياً حكيماً صبوراً ينتشلها من براثن هذه الصدمة .

ومن الحقائق التي يجب أن يعلمها آدم : أن كثيراً من بنات حواء لديهن استعداد لتلبية رغبات آدم ، ولكن الحياء يمنعهن من المبادرة ، فعليك أن

تأخذ بيد حـواء خطوة خطوة ، فأنت وإياها كأستاذ وتلميذه فعلى قــدر ذكـاء المدرس وعلو همته ، ومقدرته على إيصال معلوماته يكون عطاء تلميذه .

وإنه لأمر جد خطير ما نسمعه من أفواه النساء عن الفتور العاطفي الـذي يصيب الحياة الزوجية بعد مرور السنوات الأولى من الزواج ، فبدل أن تتعمـق جذور هذه العلاقة بظهور ثمارها في عدد من الأبناء نراها تذبـل وتتداعـى ، وتصبح صورة باهتة مهزوزة للحياة الأسرية ، فحتى أقل الكلمات العاطفية التي كان الزوجان يتبادلانها أصبحت محرمة بينهما غريبة على آذانهما .

ولهذا الفتور نتائجه الوخيمة على الحياة الأسرية حيـث يشـعر الزوجـان بالملل ، ويسيطر عليهما التوتر والقلق ، ويحل الجفاف على قلبيـهما ، فتتسـع الهوة بينهما ، وتندلع على أثر ذلك الخلافات والمشاحنات .

ولا يجد آدم حلاً لمشكلته هذه غير الهروب مـن المـنزل والانشـغال بالأصدقاء ، والتفكير السريع في الزوجة الأخرى ، والكل يلوم حـواء ويتهمها بإهمال زوجها وانشغالها بالبيت والأبناء ، وكأنها هي وحدها سبب هذا الفتـور ، وهذا الصدع الذي أصاب الأسرة ... وهذا لعمري حيف وظلم لـها ، فحـواء التي تكد ، وتشقى طوال اليوم لتلبية مطالب الأسرة وتحقيق الأمن ، والاستقرار لها لهي في أشد الحاجة إلى كلمات حانية رقيقة يخفق لها قلبها ، ومـع خفقتـه يزول كل أثر للتعب ، بل تكون تلك الكلمات اللطيفة قوة دفع لها تشجعها علـى العطاء المثمر في فرح وحبور .

وهذه الكلمات الحانية لها دور فعال في تجديد نشاط حـواء مما يضفـي على الأسرة حيوية وتلاحماً .

وهناك من الرجـال من يرى أن العلاقة الزوجية هي مجرد إطفاء لشهوته

يؤديها بشكل رتيب لا حياة فيه متعللاً بكثرة أشغاله ، وأعماله التي لا تسمح له بهذه المهاترات الصبيانية ، ومعتقداً أن في جفافه هذا حفاظاً على مكانته ورجولته ، أما ملاطفة الزوجة ، وتدليلها ، فهو عمل صبياني من اختصاص المراهقين فقط .

ولمثل هؤلاء أقول : إن النبي ﷺ ، وهو أشرف الخلق ، وأعظمهم رجولة ، وأكثرهم انشغالاً بأعباء الدعوة كان يلاطف نساءه ويمازحهن ، قالت عائشة رضي الله عنها : « **كنت أشرب وأنا حائض ، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه في موضع فِيَّ فيشرب ، وأتَعَرَّقُ العَرْقَ ، وأنا حائض ثم أناوله النبي فيضع فاه على موضع فِيَّ** » .(١)

فتجاهل حق المرأة ورغبتها وميولها في العلاقة الزوجية يعد هدراً لكرامتها ، يقول الأستاذ عبد القادر أحمد عطا :

(على أن هناك ناحية يغفلها الكثير من الأزواج وهي إرضاء كبرياء الأنوثة عندهن ، فلا يعاملها جنسياً معاملة المتاع الممتهن ، بل يشعرها بقيمتها عنده ، وضرورتها له بأي أسلوب يتناسب مع شخصيتها ، ومع درجة اعتزازها بأنوثتها ، فتلك ثقافة يجب ألا تغيب عن الأزواج لمدى أهميتها في توثيق الروابط الزوجية ، وفي بقاء شخصية الزوجة قوية نابضة بالحيوية) .(٢)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن ، ١/٢٤٥ ــ ٢٤٦ رقم (٣٠٠) ورواه أبو داود ، كتاب الطهارة : ١/٩٦ رقم ٢٥٩ ، والنسائي ١/٥٦ ــ ٥٧ ، وابن ماجة في سننه ، كتاب الطهارة باب ما جاء في مؤاكلة الحائض وسؤرها : ١/٢١١ رقم ٦٤٣ ، مسند الإمام أحمد : ٦/٦٤ ، ١٢٧ ، ٢١٠ ، ٢١٤ .

(٢) اللقاء بين الزوجين : ٩٩ .

آدم والزينة

لقد سمعت حواء كثيراً عن وجوب تزينها لزوجها ، وحفظت عن ظهر قلب ما حيك حولها من قصص ساخرة تصور حواء وهي تقابل زوجها بالشعر المنفوش ، ورائحة البصل تفوح منها ، وكم أثارت فينا هذه الصورة الضحك ، وكان لها أثر كبير في تغيير كثير من النساء .

ولا شك أن آدم كان أكثرنا سعادة بهذه الصورة الهزلية ، لأنها تحدثت عن هواجسه النفسية ، وأبرزت معاناته الداخلية .

ملأ آدم يديه بالأدلة التي تدين حواء وتدفعها للتزين لآدم ، ولكنه اشتط في مطالبه ، فنراه يطالبها بأن تكون كإحدى الممثلات في أناقتها ، ومكياجها ، وفي حركاتها ، وضحكاتها ، وخفة ظلها يريدها أن تكون مراهقة دائماً حتى في حالة وجود الأطفال والخادمات .

وحواء تقول :

أما بالنسبة للأناقة فهذا أمر لا تعذر فيه حواء ، وهي مطالبة به ليل نهار ، لأن المجتمع اليوم غير مجتمع الأمس ، فالتبرج قد تفشى وانتشر وأصبحت النساء المتبرجات على شاشات التلفاز ، وعلى قارعة الطريق ، ولا بد أن يكون لذلك أثر على نفسية آدم ، وتشكيل ذوقه ، وحتماً سيكون لذلك مردوده على زوجته .

فإذا كان من حق آدم أن يطلب حواء بزيادة أناقتها ، فعليه أن يساعدها على ذلك ، ويأخذ بيدها تدريجياً ، وأن يمدها بالمادة التي تكفل لها تحقيق تلك الأناقة ، وعليه ألا يطالبها بارتكاب المحرمات كأن يجبرها على لبس

الملابس الشفافة أو القصيرة ، أو الشورتات ، أو البنطال الضيق في حالة وجود الأطفال والخادمات ، لأن لذلك أثراً كبيراً على تربية الطفل .

إلى جانب ذلك عليه أن يمتدح ذوقها كلما لبست زياً جديداً ويظهر لها اهتمامه بها ، فليس من اللائق أن ينتقدها على قلة أناقتها ، ثم إذا حاولت أن تتدارك هذا الأمر تجاهلها هو ، ونسي أنه وجه إليها يوماً انتقاداً أقضَّ مضجعها.

فتلك حواء ... تتذكر أنها تحاول وتجتهد في التأنق والتزين لزوجها ولكنه لا يعيرها اهتماماً ، ولا يلتفت إليها ، ولهذا أثره الكبير على نفسيتها مما جعلها تتراجع عن عزمها ، ولكنه ما يلبث بين الفينة والفينة يرشقها بالانتقادات اللاذعة .

وتلك .. تسأل آدمها عن الألوان التي يفضلها ويحبها ، فتكون الإجابة عبارة عن اتهامات بتضييع الوقت ، وإنفاقه في غير وجهه .

وهذا كله دليل على استجابة **حواء** ، ورغبتها في إصلاح شأنها ، ولكن آدم يعرض ويصد .

وحواء تتساءل ... لماذا تكالبت وسائل الإعلام عليها وحدها تنتقدها وتنتقد إهمالها لأناقتها ومظهرها ؟!!

لِمَ لَم يُوَجَّه إلى آدم مثل هذه الانتقادات ؟!!

لِمَ لَمْ يُصَوَّر الرجل بالصورة الهزلية اللاذعة التي صُوِّرت بها المرأة ؟!!

سيقول قائل : الزينة من طبع النساء .

وأقول بدوري : أنا أتحدث بمنطق الإسلام ، وأسأل هل أوجب الإسلام الزينة على المرأة دون الرجل ؟!!

هل من حق آدم أن يتمتع بالنظافة والجمال وحده ؟!!

هل من الواجب على **حواء** أن تفوح منها رائحة العطر الجذابة وتستقبل (آدم) وقد فاحت منه رائحة العرق النفاذة ؟!!

هل من الواجب عليها أن تلبس أجمل ملابسها في البيت قبل أن تلبسها في الحفلات والمناسبات حتى يتمتع (آدم) ، وهو يلبس الإزار (الفوطة) والبيجاما ، وثياب النوم طوال اليوم ؟!!

هل على **حواء** أن تستاك قدر ما تستطيع حتى لا يشم منها إلا أطيب ريح بينما هي تشم رائحة الدخان أو رائحة الفم المهملة ؟!!

وبعض الرجال ينكر على نسائه أكل الثوم والبصل ، ويبيحها لنفسه ، وكأن الكراهية خاصة بالنساء ؟! وبعضهم يحلو له التجشؤ بصوت مسموع في أي وقت ، وبأي شكل دون مراعاة لشعور ونفسية زوجه ظناً منه أن هذا العمل من مكملات الرجولة !!!

ولله در المنصف إذ قال :

(ويخطئ الكثير من الرجال حين يرى أن المرأة يعجبها الرجل على كل حال من أحواله ، سواء أكان قذر الثوب ، خبيث الرائحة ، أبخر الفم ، أو كان نظيفاً طيب الرائحة ، ولكن المرأة كائن حي عاقل له ذوق قد يكون أرق من ذوق الرجل ، فكيف يهدر إحساسها وذوقها على هذه الصورة التي بقيت من تراث الجاهلية ؟!!

إنها تحس كما يحس الرجل ، وأكثر مما يحس الرجل في هذه الناحية ، ولكن الحياء قد يمنعها من مواجهة الرجل بهذه العيوب المنفرة التي تباعد بين قلبها وبينه ، وتحرمها من متعة الاتحاد الجنسي معه ، وقد يمنعها خوفها على حياتها الزوجية من التمزق ، فتسكت على مضض وهي بعيدة عنه ، ليس له

منها سوى جسدها ، أما قلبهـا فيتمزق ألماً ويتحرق شوقاً إلى اتحـاد جنسـي كامل .

وقد يؤدي إهمال الرجل لمظهره ونظافته إلى وقوع الزوجة فـي الزنـا ، وهكذا أخبر رسول الله ﷺ كما روى الطبراني أنه قال : ((**اغسـلوا ثيـابكم ، وخذوا من شعوركم ، واستاكوا ، وتزينوا وتنظفوا ، فإن بنـي إسـرائيل لـم يكونوا يفعلون ذلك ، فزنت نساؤهم**))[1] .[2]

ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة ، فقد كان ﷺ أنظف النـاس وأطيبـهم ريحاً ، وأشدهم اعتناء بمظهره ، فعن أنس بن مالك عن أبيه : ((**كان لرسـول الله ﷺ سكة**[3] **يتطيب منها**)) .[4]

وعن أنس رضي الله عنه قال : ((**ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين مـن كف النبي ﷺ ولا شممت ريحاً قط أو عرفاً قط أطيب من ريح أو عَرْفِ النبـي ﷺ**)) .[5]

وكان ﷺ يهتم بترجيل شعره ، وبحسن مظهـره ، فعن عائشة رضـي الله عنها قالت : ((**كنت أُرَجِّل رسول الله ﷺ وأنا حائض**)) .[6]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : ((**كان النبي ﷺ مربوعاً بعيد**

---

(١) ضعيف الجامع الصغير ، الألباني : ٣١١/١ .
(٢) اللقاء بين الزوجين : ٦٧ ــ ٦٨ .
(٣) السكة : بضم السين وتشديد الكاف ، هي طيب أسود يخلط ويعرك ويترك وتظهر رائحته كلما مضى عليه الزمن ، ويحتمل أن تكون وعاء يوضع فيه الطيب ، وهو ظاهر .
(٤) أخـرجه أبو داود في سننه وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، انظر : سنن أبي داود ، كتاب الترجل ، باب استحباب الطيب ، ك ٢٧ ، ب٢ حديث رقم ٤١٦٢ صحيح الجـامع الصغير : ٢٤٢/٤/٢ رقم ٤٧٠٧ .
(٥) صحيح البخاري : باب صفة النبيﷺ : ٢٣٠/٤/٢ .
(٦) صحيح البخاري ، كتاب الحيض : باب غسل الحائض رأس زوجها : ٨٢/١/١ .

ما بين المنكبين له شعر يبلغ شحمة أذنه رأيته في حُلَّة حمراء ، لم أر شيئاً قط أحسن منه »[(١)] .

وجاء في موطأ مالك : كان رسول الله ﷺ في المسجد ، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية ، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده أن اخرج ، كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته ، ففعل ، ثم رجع ، فقال رسول الله ﷺ : « **أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان** »[(٢)] .

والنظافة المطلوبة من الرجل هي نفسها المطلوبة من المرأة ، ومنها التقيد بسنن الفطرة الخمس التي ذُكرت في قوله ﷺ : « **الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الآباط** »[(٣)] .

وهذا الحديث يشمل النظافة الداخلية والخارجية التي سُنَّت لآدم وحواء ، لا كما يعتقد بعضهم أنها من اختصاص حواء وحدها . وقد أكد ﷺ على نظافة الفم ، لأن رائحة البخر أكبر خطر يهدد الحياة الزوجية ، ويبعث النفور بين الزوجين ، وينذر حياتهما بالتفكك والتمزق ، فشدد ﷺ على هذا الأمر ، فقال : « **لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة** »[(٤)] . وكان ﷺ يلزم السواك ومن ذلك ما روي أنه « **كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك** »[(٥)] .

ولقد حث الرسول ﷺ على النظافة ، وحسن المظهر في جميع الأحوال

---

(١) صحيح البخاري ، باب صفة النبي ﷺ : ٢٢٨/٤/٢ .

(٢) موطأ مالك ، كتاب الشعر ، باب إصلاح الشعر : ٩٤٩/٢ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب تقليم الأظافر : ٢٠٦/٧/٣ .

(٤) سنن الترمذي ، باب ما جاء في السواك : ٣٤/١ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب السواك : ٧٠/١/١ .

حتى في الحـــالة التي يشعر فيها الإنســان بالفتور والتعب ، لذا أمر بــــالتطيب والترجل مع الصيـــام ، قال ﷺ : ((**إذا كان صـــوم أحدكـــم فليصبـــح دهينـــاً مترجلاً**)) [١]

فالعبادة لا تتنافى مع حسن المظهر ونظافته .

ورأى الإسلام أن الزينة ليست فقط من حق الرجل على المرأة ، بل هـــي أيضاً من حق المرأة على الرجل ، قال تعالى : **﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾** [٢] .

قال ابن عباس في تفسير الآية : (يعني ولهن من الحقوق على أزواجـهن مثل ما لأزواجهن عليهن من الواجبات ، وقوله " بالمعروف " يعنـــي أن هـذه الحقوق تؤدي بالإحسان والتواضع والإيثار لا بالتعالي والكبرياء) [٣] .

ومما يدخل في معنى الآية التجمل للمـــرأة كما تتجمل هي للرجل ، وقـــد أخـــرج ابن جرير في هذا المعنى من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال :

((إني أحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي ، لأن الله تعالى ذكـــره يقـــول : **﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾**)) [٤]

ولم ير الإسلام بأساً في أن تطالب المرأة زوجها بالتزين والنظافـــة ؛ لأن ذلك حق شرعي لها ، لقول عائشة رضي الله عنـــها : ((**مـــرن أزواجكـــن أن يستطيبوا بالماء ، فإني أستحييهم ، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله**)) [٥] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب اغتسال الصائم : ٣٩/٣/١ .

(٢) البقرة : ٢٢٨ .

(٣) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ، عبد العزيز الحمدي : ١٢٨/١ .

(٤) تفسير الطبري : ٤٥٣/٢ .

(٥) أخرجه التـــرمذي وقال حديث حسن صحيح ، انظر : سنن الترمذي ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء في الاستنجاء بالماء : ١/ ٣٠ ــ ٣١ .

وهكذا نرى أن كتب الحـديث الشريف والفقه قد امتلأت بحقوق الزوجـة على الزوج ، ومنها أن يتزين لها كما تتزين له ، ولكن يبدو أن هذه المثاليـات أصبحت سجينة في باطن الكتب الشرعية ، ولعل السبب في عدم تذكير الرجـل بهذا الجانب تذكيراً مستمراً يعود إلى أن المجتمع ما زالت فيه نعرات التحـزب للرجل ، فيرى أن مصارحة الرجل بهذه السلوكيات مساس لكرامتـه ، وربمـا يعود السبب أيضاً إلى أن أكثر الأقلام الناقدة هي أقلام رجل ، فكـان الميـل ، وكان التعصب .

آدم الاتكالي

إن مسؤولية (آدم) في الأسرة لا تقل عن مسؤولية المرأة ، فكل منهما قد هيأه الله نفسياً ، وجسمياً ، وعاطفياً ، ليتواءم مع مهمته ، ولكننا نجد (آدم) اليوم أخذ يتملص من مهمته معتذراً بكثرة أعبائه ، وأشغاله وأسفاره تاركاً قيادة الأسرة للمرأة يساعدها فريق من الخدم والسائقين .

فعليها علاوة على أعمال المنزل ، والعناية بالأطفال أن تحمل طفلها المريض إلى الطبيب ، وأن تتابع طفلها في المدرسة وذلك بالاتصال بالمدير والمدرسين ، وعليها أن تحضر مهندساً للثلاجة المعطلة ، والمكيف الذي رفض أن يعمل احتجاجاً على الفوضى الأسرية .

وعليها أن تصحب الأولاد في نهاية الأسبوع إلى الملاعب وأماكن الترفيه ، وعليها أن تذهب إلى سوق الخضروات والبقالات لجلب احتياجات المنزل على ما في ذلك من اختلاط بالرجال وتعرض للأذى والفتنة .

كما أن عليها أن تقوم بعملية التربية وتقويم السلوك .

وفوق هذا وذاك عليها أن تنخرط في سلك العمل لتساعد زوجها في مصارف البيت ، وقد بلغت اتكالية الزوج الحد الذي يسند إليها مهمة شراء ملابسه والذهاب بها إلى الخياط !!!

كل ذلك و(آدم) يتهرب من مسؤوليته محتجاً بانشغاله بالدعوة ، أو التجارة ، أو السفر ، وكل تلك أعذار واهية لا تعطيه حق التخلي عن مسؤوليته .

وهذه المشكلة ليست فردية ، وإنما هي ظاهرة اجتماعية بدأت تتفشى في المجتمع ، حتى أن أحدهم حين أخذت تشكو إليه زوجه كثرة الأعباء الملقاة على

عاتقها ، أجاب : (وراء كل رجل عظيم امرأة) .

وأضاف قائـــلاً : إنه ما اختارها متعلمة ... عاملة ... جريئة إلا لتكـــــون أهلاً لتحمل مسؤوليته هو إلى جانب مسؤوليتها الأساسية .

نسي (آدم) أنه بكلامه هذا يعترف بفشله ، ورفع راية عجـــزه فـــي إقامـــة الأسرة الإسلامية كما يريدها الله ورسوله .

المـــرأة يا (آدم) كـــائن لطيف ... رقيق ... ناعـــم ، وتكوينها الجســـمي والنفسي لا يمكنها من القيام بكل هذه المهام .

فصاحبة الجسم الناعم الرقيق تقوم بالأعمال الجسام ، والمعضلات العظام ، وصاحب الجسم القوي المتين والشارب المفتول لا يقوى على صغـــــار المـــهام وأسهلها !!!

إن عملية تكوين أسرة مسلمة حقاً ، لا يقوم إلا على التزام كل فرد بالمـــهام التي حددتها له مبادئ الإسلام . فالإسلام أوكل للمرأة مهاماً ومسؤوليات تتناسب مع طبيعتها الأنثوية ، والتي تمكنها من القيام بدور الأمومة بالشكل الذي يكفـــل للطفل حياة طيبة نقية .

هل تعلم يا (آدم) أن الإسلام قد كرَّم المرأة ، وأمرها أن تجلس في دارهـــا ولا تخرج منه إلا للضرورة ، ونهاها عن الاختلاط بالرجـــال والتسـكع فـــي الطرقات ، وإذا أرادت المرأة الخروج لا تخرج إلا مع ذي محـــرم ، لأن ذلـــك أكرم وأشرف لعرضها وعفافها ، قال تعالى :

﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾(١).

وإن كان عـــذرك يا (آدم) الانشغال بالتجارة ، فأقول لك : إنَّ محمد بـــن

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

عبد الله ﷺ قد اشتغل بها ، ولم يُقصِّر في جانب من جوانب حياته الأخرى .

وإن كان عذرك الانشغال بالدعوة ، وتبليغ أمر الله فإن محمد بن عبد الله ﷺ قد حمل أعباء الدعوة للأمم جميعاً ، ومع ذلك كان نعم الزوج الودود الكريم الحنون ، فعن إبراهيم عن الأسود قال : ((**سألت عائشة ما كان رسول الله يصنع في أهله ؟ فقالت : كان يكون في مهنة أهله يعني ، وإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة**)) .(١)

وقيل لعائشة أيضاً : ((**ما كان رسول الله ﷺ في بيته قالت : كان رسول الله ﷺ بشراً من البشر يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه**)) .(٢)

وكذلك : ((**سأل رجل عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته ، قالت : نعم كان رسول الله ﷺ يخصف نعله ويخيط ثوبه ، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته**)) .(٣)

أفلا يكون لنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة ، ونتعلم منه أن الحياة الإسلامية كل لا يتجزأ إنما يترتب بعضها على بعض ، وأن العمل فيها موزع توزيعاً إلهياً يكفل لها الاستمرارية والنجاح ، وأن أدنى تقصير في أصغر جوانب من جوانبها معناه قلب واضطراب لموازينها الصحيحة . وما أجمل تصوير الأستاذ البهي الخولي لحقيقة الحياة الأسرية الإسلامية حيث يقول :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان ، باب من كان في حاجة أهله : ١٧٢/١/١ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، وصححه الألباني ، انظر مسند الإمام أحمد : ٢٥٦/٦ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢٨٠/٢ حديث رقم ٦٧٢ ، صحيح الجامع الصغير : ٢٧٣/٤/٢ رقم ٤٨٧٢ .

(٣) أخرجه الإمام احمد في مسنده ، وصححه الألباني ، (انظر : مسند الأمام أحمد : ١٢١/٦ــ١٦٧ــ٢٦٠ ، صحيح الجامع الصغير : ٢٦١/٤/٢ رقم ٤٨١٢ ، مشكاة المصابيح تحقيق الألباني : ١٦١٩/٣ رقم ٥٨٢٢ .

(وليس الزواج المطلوب لإنجاب البنين فقط ، ولا لقضاء مآرب الجنس فحسب إنما إرادة الحق سبحانه قبل ذلك أو مع ذلك ليثمر الألفة في هذه الأرض ، وينجب المودة ، ويبدع الخير والرحمة ، فإن التقاء إنسانية بإنسانية كالتقاء فكر بفكر ينجم عنه ثمار معنوية لا محالة ، فإذا كان من مهمة الإنسان في هذه الأرض أن ينجب البنين ، فأكرم مهماته أن يبدع فضائل التراحم والتواد ، والتعارف والإيثار ، والمواساة والتعاون ، وبدون هذه الفضائل ونحوها لا يكون الإنسان إنساناً ، ولا يكون المجتمع جديراً بأي نظرة من نظرات القداسة والاحترام ... إن زواج السكن المستقر هو العش الذي تتوالد فيه خصائص الإنسانية باجتماع إنسان وإنسانة لا باجتماع ذكر ولا أنثى فحسب . وإن المرء في حياة الأسرة الساكنة المستقرة ليمارس صناعة الحب حين يحمل من رعاية زوجه ومسؤوليات أولاده ما يحمل ... يصنع الحب في نفسه لهم بنسيانه نفسه ، وطرح أنانيته ، والتفكير فيهم والاهتمام بهم ، ويصنع الحب في أنفسهم أو يغرسه فيهم بما يبدي نحوهم من رعاية واهتمام وشفقة وحب)[1]

(١) المرأة بين البيت والمجتمع : ١٨ .

آدم والمادية

* **جـــاءتني تبكي** حرقة وألماً تشكو الجحيم الذي تعيش فيه ، لقد صدمــت في حياتها صدمة عظيمة ، فقد قرأت كثيراً عن واجبات المرأة وحقوق الرجل ، وكانت تحلم بذلك اليوم الذي تكون فيه نعم الزوجة المطيعة ، التي تسعى لكسب رضا زوجها ، وتتفانى في تربية أطفالها في جو ترفرف عليه أجنحة الرحمـــة والمودة والسكينة والاطمئنان .

ولكن بدأت المادة تطل برأسها على حياتها الهادئة الساكنة فزوجها المصون أخذ يضطرها للعمل خارج المنزل لتساعده على كماليات الحياة ، وبناء مستقبل الأولاد المادي ، وفي نفس الوقت يرفض مساعدتها في أعمال البيت ، ورعايـــة الأطفال وتدريس الأبناء ، وهو أيضاً يحب كثرة الأولاد ويقدر المـــرأة الـــودود الولود ، فباتت المسكينة تموت بعدد ساعات اليوم !!!

* **وأخـــرى تحكي** كيف تغيرت سحنة زوجها حين رأى فـــي يدهـــا أول راتب تستلمه ، وبدأت المساومة على الراتب ، والويل لها كل الويـــل إن هـــي امتنعت عن دفع الضريبة الشهرية ، وذلك بحجة أنه سمح لها بـــالعمل خـــارج البيت مع أن العمل كان شرطاً عليه في عقد الزواج .

أخذ يتسلم في البداية نصف الراتب ، ثم بدأ يـــهمل فـــي طلبـــات الأولاد والمنزل ، فتضطر المسكينة إلى إكمال النقص خوفاً على بيتها من الانـــهيار ، وعلى أطفالها من التشتت .

* **وأخرى تروي** أن زوجها يفرض عليها أن تكتب الشيك باسمه فيســتلمه نهاية كل شهر ، ويضعه في خزانته من غير أن تلمس هي قرشاً واحداً منه .

* **وكثير من بنـــات حـــواء** تطمئن لزوجهـــا ، وتعطيه ما تملك من مال

بغية بناء بيت زوجي سعيد ، وما إن يكتمل البناء والتجهيزات اللازمة حتى يتنكر لها زوجها ، فقد كُتب العقار باسمه ، وتبدأ المنازعات والمشادات ، وكم من قصة سمعناها عن الزوجة العاملة التي كَدَّت وتعبت ، وجمعت المال ، لتحقيق آمال زوجها وأسرتها في بناء عمارة أو فِلة ، وتدفعها عاطفتها المخدوعة إلى كتابة العمارة باسم زوجها ، وما هي إلا أيام حتى يكافئها بالضرة المصونة ، ثم يخيرها إما أن تقبل بالوضع الراهن ، وإما أن تخرج من الدار صفر اليدين ، ولك أن تتخيل الحرقة النفسية التي اكتوت بها **حواء** ، والآلام التي اكتسحتها فحولتها إلى مأساة متحركة ، ومن هذه القصص ما نشرته جريدة عكاظ في عددها (٨٩١٧) عام ١٤١١ هـ .

قالت حواء تعرض مشكلتها :

(لم أعد قادرة على عمل شيء أو تحريك ساكن ... ولذلك أكتب مشكلتي لجريدتكم ليطلع عليها الناس ، فربما كانت درساً وعبرة .

أنا امرأة متزوجة من أحد أقاربي ، وأعمل في سلك التدريس . بداية حياتنا الزوجية كانت جميلة وبسيطة وسعيدة ، رزقنا الله بطفلة أدخلت على حياتنا البهجة والسرور .

لا أهتم براتبي الشهري الذي أحصل عليه لقاء عملي ... والذي كنت أسلمه لزوجي كاملاً في نهاية كل شهر ، فراتبه متواضع ، وكنت أفعل ذلك من منطلق شعوري بأن مساعدتي في تغطية مصروفات البيت مهمة مشتركة ، وظللت على هذا المنوال قرابة ثلاثة أعوام ، حتى فوجئت في أحد الأيام بأن زوجي بعد أن أفاد من جمع وادخار جزء من راتبي مقبل على الزواج من امرأة أخرى !!!

وما آلمني وجعلني أحس بالخيبة ، هو أنه سيتزوجها من مرتبي وكأن مشاركتي في تحمل أعباء المصاريف وثقتي فيه أعطته دافعاً ليبتعد عني !!!

والذي يحيرني ، ويفرض علي التساؤل هو : لماذا يتزوج عليَّ وأنا الفتاة المتعلمة الجميلة حتى أن زميلاتي في المدرسة يلقبنني بحسناء المدرسة إضافة إلى إخلاصي ، وحبي له ، وعدم تقاعسي في القيام بشروط الزوجية ، وأداء الواجبات المنزلية ... ألم يكن سعيداً في حياته الزوجية معي ؟! ما الذي قصرت فيه ؟! هل تسليمي لمرتبي له كان خطأ من طرفي ، لم أعد أعرف الحقيقة ـ وهو صاحب المرتب المتواضع ـ ما إذا كان عليَّ أن أصرف مرتبي أيضاً على منزل زوجته الجديدة وما حدث صرفني عن الحياة السعيدة التي كنت أنعم بها معه ... ولم أعد أرغب في شيء سوى أن أُترك لنفسي ، ويكفيني أن أقوم بواجبات تربية طفلتي الجميلة التي رزقني الله بها .... ولكني لم أعد أعرف ما إذا كانت حتى هذه الأمنية سيكون بإمكاني الحفاظ بها ... وهل بإمكاني في ظل الظروف الجديدة أن أستقل براتبي لصرفه على نفسي بصراحة تامة فإنني بسبب الغدر والخداع وسوء الاستغلال ... أصبحت لا أثق سوى بإكمال مسيرتي لوحدي ، فهل يمكنني ذلك ... بل هل أستطيع) .[1]

وهذه جهالة كبرى من **حواء** ، لأن من سماحة الإسلام وكرمه أن جعل للمرأة حرية التصرف في مالها ، وفي تجارتها ، والرجل الحر الكريم هو الذي يعتمد في تكوين الأسرة وبنائها على ماله الخاص لا أن يسطو على جيب زوجه .

والرجل الحر الكريم إن احتاج قرضاً من زوجه ، أو دخل معها في عمل

---

(١) جريدة عكاظ ـ العدد ٨٩١٧ ، الاثنين ٢٠ جمادي الأولى ١٤١١ هـ .

مشتــرك كشــراء أرض ، أو بنـــاء دار عليه أن يكتب لـــها حقوقـــها كاملـــة ويصدقهـــا بشهود عدول ليحفظ لها حقوقها من الضياع .

وهذا الرأي ستمجه نفوس كثير من الرجـــال ، وستثور كرامتهم وترفضـــه كبرياؤهم ، ولكنني أقول لكل مستنكر : تمهل قليلاً يا أخي واخلـــع عنـــك رداء الحماقة والكبريـــاء الزائفـــة التي يؤججها الشيطان في نفســـك ليوقعـــك فـــي المزالق ، ويوردك المهالك ، فكر مليـــاً وجدياً في الأمر ، فهو أطهر لدينـــك ، وأبرأ لذمتك ، وأحفظ لماء وجهك .

آدم مع أصدقائه

حـواء تتساءل ... لماذا يترك آدم جنته الجميلة الوارفة الظلال ، لقـد تعبت **حـواء** كثيراً في غرس رياحينها وزنبقها . لا تقولوا إن **حـواء** هـي التي أجبرته على هجر المـنزل بارتكابها الحماقات والتفاهات ، ولم تهيء لـه جواً لطيفاً يجد فيه الراحة والاطمئنان ، فاضطر إلى اللجـوء إلـى منتجعـات الأصدقاء.

أنا هنا أتحدث عن **حـواء** المتفانية في خدمة آدمها ، الحريصة علـى كسب حبه ومودته . ولكنه مشغول عنها بأصدقائه سواء أصدقـاء السـوء ، أم أصدقـاء الخير .

على آدم أن يتذكر أن لبيته عليه حقـاً ، وأن لزوجه عليـه حقـاً ، وأن لنفسه عليه حقـاً ، وأن لنفسه عليه حقاً ، وأن عليه أن يـؤدي لكـل ذي حـق حقـه . فهذا هو ديدن الرسول ﷺ .

أخرج البخـاري في صحيحـه عن أبي جحيفـة عن أبيه قال : « **آخـى النبي ﷺ بين سلمان ، وأبي الدرداء ، فزار سلمـان أبـا الـدرداء فـرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخـوك أبو الدرداء ليس له حاجـة في الدنيا ، فجـاء أبو الدرداء فصنع له طعامـاً ، فقال : كُل ، قـال : فـإني صائم ، قال ما أنا بآكل حتى تأكل ، قال : فأكل ، فلما كان الليـل ذهـب أبـو الدرداء يقـوم ، قال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلمَّا كـان مـن آخر الليل قال سلمان : قم الآن ، فَصَلَّيَا ، فقـال له سلمان : إن لربك عليـك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأتـى**

النبي ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ صدق سلمان ».[1]

فهذا أبو الدرداء قد انصرف عن بيته لانشغاله بالعبادة ، وليس بأصدقائه ، فانصرفت زوجته عنه ، وأهملت نفسها وتبذلت ، وبدأت أصوات الخطر ترتفع منذرة بانهيار البيت المسلم .

ولكن نرى التربية المحمدية تظهر في جواب سلمان الفارسي رضي الله عنه حيث دل أخاه على الطريقة الإسلامية الصحيحة التي يجب أن يتبعها كل فرد مسلم يؤمن بأن محمداً هو الرسول المربي ألا وهي تنظيم الوقت ، وتوزيع العمل بحيث لا يطغى جانب على جانب آخر .

وحواء أخرى تشتكي من سوء خلق زوجها معها ، وسوء معاملته لها بينما تراه مع أصدقائه على أرفع خلق ، وأسمى معاملة ، تراه يلاطف أصدقاءه ، ويمازحهم ويضاحكهم ، ويتباحث معهم ويناقشهم ، أما هي فيعتبرها قطعة أثاث كمالية في المنزل ، لا تفقه شيئاً في أمور الدين أو الدنيا ، وليس لها حق سوى التحدث مع بقية الأثاث ، وحجته أن الرسول ﷺ قال : « **ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن** ».[2]

حواء تقول لك يا آدم :

إن الرسول ﷺ حين ذكر في حديثه أن النساء ناقصات عقل ودين لم يقصد بذلك إهانة **حواء** ، وتحقيرها ، إنما أراد تكريمها بتنبيه آدم إلى بعض خصائص الأنوثة ليلتمس لها الأعذار إن هي هفت يوماً أو أخطأت . لقد غفل آدم عن أن **حواء** كائن حي أكثر ما تحركه المشاعر والأحاسيس ، فتراه

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع : ٤٩/٣/١ ـ ٥٠ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم : ٨٣/١/١ .

دائماً عابس الوجه ، قاطب الجبين ، محمر العينين وكأنه يريد أن يثبت لحواء أنه (الأسد في عرينه) أما الابتسامة أو الضحكة ، فهي أمر محرم على وجوه الرجال ، لعل القصد من هذا إسكان الرعب في قلب حواء ، فتهرع إلى الانضواء تحت طاعته العمياء .

ولقد اشتكت إحداهن من صلف زوجها وجفائه ، فأحبت أن تذكره بأخلاق المصطفى ﷺ ، وسيرته مع نسائه ، ومداعبته لهن فقصت عليه حديث عائشة رضي الله عنها وتسابقها مع الرسول ﷺ حيث قالت رضي الله عنها :

((**خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن ، فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال لي : تعالي حتى أسابقك ، فسابقته ، فسبقته ، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس تقدموا فتقدموا ، ثم قال تعالي حتى أسابقك ، فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك**))(١) .

أتدري ما كان جواب آدمنا بعد أن سمع القصة كاملة ، وتكبل بالحجة الدمغة ، لقد أجاب قائلاً بكل سذاجة وعدم وعي : سآخذك يوما للبر وأتسابق معك ، وبذلك أكون قد طبقت كلام الرسول ﷺ ، وإياك أن تعيدي على مسمعي هذا الحديث مرة أخرى .

هذا جواب آدم لزوجه ، مع أنك لو نظرت إليه مع أصدقائه لرأيته أسبقهم في الرحلات ، وأكثرهم لعباً ومزاحاً وفكاهة .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (واللفظ له) وأبو داود والنسائي وابن ماجة ، وصححه الألباني ، انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٢٦٤/٦. سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب السبق : ٢٩/٣ــ٣٠ رقم الحديث : ٢٥٧٨، صحيح سنن ابن ماجة ، باب حسن معاشرة النساء : ٣٣٤/١ ، إرواء الغليل :٣٢٧/٥ ــ ٣٢٨ .

حـــواء يا **آدم** تدلك بأمانة على أقصر طريق إلى قلبها ، وأقصر طريق لضمان محبتها وطاعتها ، فتقول :

عليك بالكلمة الطيبة ، والابتسامة الرقيقة ، والمعاملة الحسنة .

أما طريقتك العقيمة القائمة على (الكشرة والنفرة) ، فلن تجني من ورائها إلا طاعة زائفة ، غلافها الخوف والرعب ، وباطنها الكره والبغض .

وليس لدى **حـــواء** أوعظ عبرة تهـديك إياها سوى قوله ﷺ :

((**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائه**)) .[١]

وقوله أيضاً : ((**خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي**)) .[٢]

وتذكرك حـــواء .. بأن الرسول ﷺ كان كثير التبسم ، فعن عبد الله بن الحارث بن حزم قال : ((**ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ**)) .[٣]

وهو الذي أمر كل مسلم بالتبسم في وجه أخيه ، وجعل لهذا التبسم أجراً وثواباً لما يبعثه في النفس من الألفة والمحبة ، ولما يخلق من التقارب النفسي والعاطفي بين الناس ، فقال ﷺ :

((**تبسمك في وجه أخيك صدقة**)) .[٤]

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، باب حسن معاشرة النساء : ٣٣٤/١ رقم ١٦٠٩ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، باب حسن معاشرة النساء : ٣٣٤/١ رقم ١٦٠٨ . وانظر : موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، كتاب النكاح ٣١٨ رقم ١٣١٢ .

(٣) أخرجه الترمذي ، وقال حديث غريب : انظر سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب بشاشة النبي ﷺ : ٦٠١/٥ رقم الحديث ٣٦٤١ .

(٤) أخرجه الترمذي ، وقال حديث حسن غريب ، انظر سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في صنائع المعروف : ٣٣٩/٤ رقم ١٩٥٦ . ورواه مسلم وابن حبان بلفظ آخر (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) انظر : صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء : ٢٠٢٦/٤ رقم ٢٦٢٦ صحيح ابن حبان : ٤٥١/١ .

وقد كان ﷺ أفكه الناس مع نسائه ، لأن شفافية نفسه التي تدل على صدق نبوته أرشدته إلى طرق كسب قلب المرأة ، وامتلاك ناصية عاطفتها ، وما تجاهل عاطفة المرأة إلا سفيه أحمق ، لأن تجاهل عاطفتها تجاهل لمطالب الأمة الكبرى ، فالمرأة المستقرة عاطفياً ينعكس استقرارها على بيتها وأسرتها ، وبالتالي ينعكس استقرار الأسرة على المجتمع والأمة بأسرها .

آدم وتعليم حواء

عجباً لآدم القرن الخامس عشر ، لماذا يرفض حواء المتعلمة ؟! لماذا يرفض أن تسابقه في ميادين العلم المشروعة لها في الإسلام ؟!

لماذا يرفض قبول أمر من أمور الإسلام الحنيف ؟! لماذا يتجاهل قول المصطفى ﷺ : ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)) [(١)].

ولفظ (مسلم) يثبت لها أحقية العلم بداهة تحت قاعدة : ((**النساء شقائق الرجال في الأحكام**)) [(٢)].

لقد ظهر الكثير ممن ينادي بالحد من تعليم المرأة ، وقصر تعليمها على شؤون البيت والمنزل محتجين بالحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني ، باب فضل العلماء والحث على العلم : ٤٤/١ رقم الحديث ١٨٣ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الطهارة باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً : ٧٥/١ والنص هناك : (عن عائشة رضي الله عنها قالت : سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يجد احتلاماً قال : يغتسل ، وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ولم يجد بللاً ، قال : لا غسل عليه ، قالت أم سلمة : يا رسول الله هل على المرأة ترى ذلك غسل ؟ قال : نعم إن النساء شقائق الرجال) . الحديث رواه أحمد في مسنده : ٢٥٦/٦ عن حماد بن خالد ورواه أبو داود ، كتاب الطهارة ، باب في الرجل بلة في منامه عن قتيبة بن سعيد بن حماد بن خالد ولفظهما في آخره : (وإنما النساء شقائق الرجال) ورواه الدارمي :١/ ١٩٥ ــ ١٩٦ عن يحيى بن موسى عن عبد الرازق عن عبد الله العمري مختصراً ، ورواه ابن ماجة : ١١٠/١ ، عن أبي بكر بن أبي شيبة عن حماد بن خالد مختصراً أيضاً . وقال الترمذي : وإنما روى هذا الحديث عبد الله بن عمر بن عبيد الله بن عمر حديث عائشة في الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاماً ، وعبد الله (بن عمر) ضعفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه في الحديث ، قال محقق سنن الترمذي القاضي أحمد محمد شاكر : وإسناد الدارمي : إسناد صحيح رجاله ثقات إلا شيخه محمد بن كثير فهو الثقفي الصنعاني الدمشقي ضعفه أحمد وغيره ووثقه ابن معين وابن سعد وغيرهما وهذا الإسناد يقوي رواية أحمد التي لم يذكر فيها أنس : وبهما يكون الحديث صحيحاً ثابتاً عن أم سلمة ، ويكون شاهداً قوياً لحديث عائشة من رواية العمري ، انظر سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر : ١٩٠/١ــ١٩٢ .

أنها قالت : ((**قال رسول الله ﷺ لا تسكنوهن الغرف ، ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور**))[1] .

وللرد على هؤلاء نقول :

إن أدلة تعليم **حواء** الكتابة كثيرة في السنة النبوية المطهرة ورواتها ثقات ، ومن ذلك الحديث الذي روته الشفاء بنت عبد الله قالت : ((**دخل عليَّ النبي ﷺ وأنا عند حفصة فقال : ألا تعلمين هذه رقية النملة[2] كما علمتيها الكتابة**))[3].

---

(١) لقد خرَّج هذا الحديث الشيخ محمد بن عبد الرحيم الصديقي في كتابه (سلافة الأديب) ص ١٢٢ ــ١٢٣ فقال : (إن في سنده هذه الرواية محمد بن إبراهيم الشامي وهو منكر الحديث ومن الوضاعين ، قال الحافظ شمس الدين الذهبي في ترجمته في ميزان الاعتدال قال الدار قطني كذاب وقال ابن عدي عامة أحاديثه غير محفوظة وقال ابن حبان لا تحل الرواية عنه إلا عند الاعتبار وروى عن شعيب بن إسحاق عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعاً (ولا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور) . قال ابن الجوزي رحمه الله في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية هذا الحديث فيه محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث . وقال الحافظ بن حجر في التقريب محمد بن إبراهيم بن علاء الدمشقي أبو عبد الله الزاهد منكر الحديث ، وقال العلامة صفي الدين الخزرجي في خلاصة التهذيب ص ٣٧٦ (الخيرية) محمد بن إبراهيم الدمشقي كذَّبه أبو نعيم والدار قطني ووثقه أبو حاتم والنسائي ففيه كلام لأن مؤلفي كتب الرجال لم ينقلوا توثيق أبي حاتم والنسائي بل نقل ابن حجر في تهذيب التهذيب والحافظ الذهبي (في الكاشف) و (ميزان الاعتدال) أقوال الجرح فقط ، ولم يذكر توثيق النسائي وأبي حاتم فلذلك والله أعلم هذا من أوهام العلامة الخزرجي حيث وقع منه السهو في كتابه في عدة أمكنة أخرى ، وإن ثبت توثيق النسائي ، وأبي حاتم ، فلا يعارض توثيقهما جرح الحفاظ الآخرين أمثال الدار قطني وابن حبان وابن عدي وأبي نعيم ، لأن هذا الجرح مفسر ومبين ، والجرح المفسر مقدم على التعديل كما قال الحافظ ابن الصلاح في مقدمته ص٥٢ طبعة بومباي ، وكما هو عند جمهور المحدثين إذا اجتمع في شخص جرح وتعديل فالجرح مقدم لأن المعدل يخبر عما ظهر من حاله والجارح يجيز عن باطن خفي على المعدل فلولا خشية الإطالة لأشبعت بحثاً وتحقيقاً . أ.هـ المؤلف) .

(٢) النملة : قرح يخرج من الجنب .

(٣) أخرجه الإمام في مسنده عن الشفاء ، وصححه الألباني ، انظر مسند الإمام أحمد : ٣٧٢/٦ ، صحيح الجامع الصغير :٣٧٢/٢/١ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : ١٢٩/١/١ رقم ١٧٨ .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

((في الحديث دليل على جواز تعليم النساء الكتابة)) .[1]

وأريد أن أشير إلى أن المقصود من تعليم المرأة هو تعليمها ما فيه خيرها وخير أسرتها وخير أمتها ، وهذا الأمر يحتاج انقلاباً شاملاً في سياسة التعليم في الدول الإسلامية جميعها ، فما تحتاجه الفتاة غير ما يحتاجه الفتى فالمرأة بحاجة إلى تعلم أمور دينها ، وكل ما يتعلق بتربية أبنائها ، وما يتعلق بأمور منزلها .

وهي بحاجة إلى اكتساب الخبرات التي تقتل بها وقت فراغها مثل تعلم الأشغال اليدوية وتنسيق الزهور ، وفن الديكور المنزلي .

كما يجب توعيتها بكل ما يدور حولها من مكائد ، ومخططات معادية لها ، ولأمتها ، فلا بد أن تكون على إلمام واع بكل المذاهب الهدامة .

ومن العلوم النافعة التي يجب أن تدرسها الفتاة مبادئ الطب والإسعافات الأولية ، ولا ضير في قراءتها التاريخ ، والأدب ، والشعر الإسلامي .

ولقد احتارت حواء في فكر آدم المتقلب ، فقبل عشرين عاماً تقريباً عزف آدم عن الزواج من حواء بلده ، رامياً إياها بالجهل ، وعدم القدرة على مواكبة الحضارة ، فسارعت حواء إلى مناهل العلم تعب منها عبّاً علّها ترضي آدم ، وحين رآها اليوم بصورتها الجديدة ، وقد قاربت فكره ، وأخذت تناقشه في كثير من الأمور وأساليب الحياة أحس أن شوكتها قد قويت ، وفزع من هذا التغيير ، وشعر أنها ستفر من قبضته ، وفقد الثقة بقدرته على التعامل معها ، فرفع راية الرفض لها والتهجم عليها .

---

(١) زاد المعاد : ٤/١٨٥ .

وغفل آدم عن أسهل سلاح يشهره في وجه المرأة ، ويعيدها إلى حظائر طاعته طائعة مختارة ، نسي أن قوتها في ضعفها ، وضعفها يتمثل في رهافة حسها وعاطفتها .

إذاً السبب في رفض آدم لتعليم حواء هو خوفه من أن تتفوق عليه ، وهذا بالفعل ما يدلي به المنصفون من رؤساء التعليم حيث يذكرون أن نسبة الطالبات المتفوقات أعلى من نسبة الطلبة المتفوقين .

إن آدم يتخوف من الاقتران بحواء المتعلمة ، وهذا الأمر قد لمسناه ورأيناه على صفحات الجرائد والمجلات التي كانت تستطلع آراء الشباب في الفتاة الجامعية ، فقد نعتوها بالكبرياء ، والتعنت ، والجموح وحب السيطرة ظناً منهم أن هذه الصفات اكتسبتها من تعليمها ، وهذا لعمري خطأ واضح ، ووهم صريح ، فهذه الأخلاقيات تعود أصلاً إلى البيئة التي نشأت فيها الفتاة ، فقد تكون الفتاة جاهلة غير متعلمة ، ولكن البيئة التي تعيش فيها أساءت تربيتها ، فتنغرس فيها الرذيلة وتصبح طبعاً من طباعها ، فليس من المعقول أن تكون الفتاة قد تربت أصلاً على الأخلاق الفاضلة ، وعلى الدين والطاعة طوال سنين دراستها الثانوية ، وبمجرد أن تدلف برأسها باب الجامعة تخرج الأخلاق من الباب الآخر .

فأخلاق الفتاة تعود إلى أصل تربيتها في الصغر وإلى طبيعة البيئة التي تعيش فيها ، فإذا هناك جموح في أخلاقها فإن العيب لا يعود إلى درجة تعليمها ، بل يعود إلى خلل في أصل التربية .

لقد عايشت كثيراً من الفتيات المتعلمات الواعيات ، فلم أجد فيهن هذه الصفات التي صورها الشباب ، وكأنها ظاهرة تعم كل من تحمل لقب جامعية .

فعلى (آدم) .. أن يراجع ثقته بنفسه ، ويغير مساره الفكري ، ويتجرد من أهوائه وذاتيته ، فإنه إن فعل ذلك سيرى أمامه **حواء** جديدة وسيعض أنامله ندماً على الحقبة التي قضاها في ذلك التفكير المظلم ، ففاته الكثير من خير **حواء** الجديدة .

آدم القبلي وحواء

على الرغم من تهذيب الإسلام لكثير من العادات والتقاليد ، وقتله لكثير من العصبيات ، وجعله مقياس التفاضل بين الناس هو الدين والتقوى ، قال تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[1]، ولا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى ، فإننا نجد في مجتمعنا ظاهرة تأبى أن ترعوي وتلين لحكم الإسلام ، ظاهرة ما زال يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد .

فقد نرى (آدم) ملتزماً بكثير من أمور الدين ، ولكنه عند هذا الأمر وعلى الرغم من سهولته ، يرفض عتق فكره منه ، فنراه يشترط في زوجه أن تكون قبلية ، وكذلك يشترط في زوج أخته أو ابنته أن يكون قبلياً وإن كان مفلساً من الأخلاق والدين ، فالمقياس المأخوذ به هو أن يكون موازياً لها في قبيلتها ، فكم من فتاة رفض أهلها تزويجها من صاحب الدين والخلق وزوجوها رغماً عنها بأي شاب يتقدم إليها من قبيلتها مهما كانت فيه من خسيسة .

فتلك الفتاة قد تقدم إليها شاب حسن السيرة والسريرة يثني عليه كل من سمع به ، وهو من قبيلة (كذا) ويحمل مؤهلاً تعليمياً عالياً ، وفرحت الفتاة فليس لأهلها الآن عذر في رفض هذا الفتى ، ولكنها صدمت حين علمت رفض الأهل القاطع له ، والسبب أن جده كان من أصحاب الحرف !!!

ما بال القوم .. قد نسوا أن أشرف الخلق محمد بن عبد الله قد كان راعياً للغنم ، ثم أجيراً عند امرأة هي خديجة بنت خويلد قائماً على تجارتها ومشرفاً عليها ، ولم يزده عمله هذا إلا شرفاً وعزة ومنعة ، وهذا شأن كثير من

---

(١) الحجرات :١٣ .

الأنبيـــاء والرسل ، فكان منهم النجـــار والحـــداد والخياط ، وقد قال عمر بـــن الخطاب رضي الله عنه : يذكر لي الرجل فأسأل أله حـــرفة ؟ فيقولـــون : لا ، فيسقط من عيني .

إن النتيجة الطبيعية لهذا التفكير المعوَّج هو بقاء الكثيرات من غـــير زواج مرغمات لا راغبات .

ولا تجرؤ **حـــواء** المسكينة أن تصرخ بإلقـــاء هـــذه الشـــروط الوهميـــة الفاسدة ، بل تستسلم للأمر في يأس ومرارة ، وتظل طيلة حياتـــها تجـــر ألـــم العصبيات البالية .

إن إسلامنا الحنيف قد وضع للكفاءة مقياساً يكفل للحياة الزوجيـــة النجـــاح والاستمرار ، فالكفاءة المعتبرة في الإسلام هي الكفاءة في الدين والخلق ، قـــال ابن القيم : (فالذي يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الدين في الكفاءة أصلاً وكمـــالاً ، فلا تزوج مسلمـــة بكافر ، ولا عفيفة بفاجر ، ولم يعتبر القـــرآن والســـنة فـــي الكفاءة أمراً وراء ذلك ، فإنه حرم على المسلمة نكاح الـــزاني الخبيـــث ، ولـــم يعتبر نسباً ولا صناعة ، ولا غنى ولا حرية ، فجوَّز للعبد القن نكـــاح الحـــرة النسيبة الغنية إذا كان عفيفاً مسلماً ، وجوَّز لغير القرشيين نكـــاح القرشـــيات ، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميات ، وللفقراء نكاح الموسرات)[(١)] .

ويستند كلام ابن القيم على قوله تعالى : **﴿ يا أيـها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾**[(٢)] .

وقوله عز وجل : **﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾**[(٣)] .

(١) زاد المعاد : ١٥٩/٥ . (٢) الحجرات : ١٣ . (٣) التوبة : ٧١ .

وقوله ﷺ : ((**لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، الناس من آدم وآدم من تراب**)) [1]

وقال ﷺ : ((**إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء ، إن أوليائي المتقون حيث كانوا وأين كانوا**)) .[2]

وقال ﷺ : ((**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه . ثلاث مرات**)) .[3]

ومن سننه ﷺ أنه زوج زينب بنت جحش القرشية من زيد بن حارثة مولاه ، وزوج فاطمة بنت قيس الفهرية القرشية من أسامة ابنه وتزوج بلال ابن رباح بأخت عبد الرحمن بن عوف [4] قال تعالى : ﴿ **والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات** ﴾ .[5]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وذكر محققا زاد المعاد شعيب وعبد القادر الأرناؤوط أن إسناده صحيح ، انظر : مسند الإمام أحمد : ٤١١/٥ ، وزاد المعاد :١٥٨/٥ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب قبل الرحم ببلاها : ٣٥١/١٠ـ٣٥٢ .

(٣) أخرجه الترمذي ، وقال حديث حسن غريب ، انظر : سنن الترمذي ، كتاب النكاح باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه : ٣٨٦/٣ ، رقم الحديث : ١٠٨٥ .

(٤) زاد المعاد : ١٥٩/٥ .

(٥) النور : ٢٦ .

آدم الطعان اللعان

رأيتها وقد انتفخت أوداجها ، واسودت جفونها ، فكونت هالة حول عينيها يظنها الرائي لأول وهلة نظارات شمسية سوداء .

اقتربت منها ، والألم يعتصرني ، وفي اعتقادي أن حادثاً أليماً قد حل بها فهنأتها على سلامتها ، وأخذت أستفسر عن تفاصيل الحادث المؤلم ، فبكت بكاءً مراً ، فقلت لا بد أنها فقدت عزيزاً في هذا الحادث وقرعت نفسي لوماً ، لأنني فتحت لها جراحاً ربما تكون أخذت في الاندمال ، ولكنها صرَّحت لي بأن ما أصابها إنما هو من زوجها المصون الذي أنقضَّ عليها كوحش كاسر رأى فريسته بعد طول جوع .

كذبت سمعي فألححت عليها أن تعيد العبارة مرة أخرى فأعادتها بصوت منكسر مكسو بالمرارة ، فقلت في نفسي لا بد أنها قد اقترفت جرماً عظيماً لا يغتفر أفقد زوجها المسكين صوابه ، وخاصة أن زوجها معروف بين الناس بحسن معاملته للآخرين .

وجاءني صوتها يحكي لي مأساة تعيشها **حواء** في كثير من البلاد ، فذكرت لي أن هذه ليست هي أول مرة تمتد إليها يد زوجها وإنما هي حلقة من سلسلة طويلة من الضرب والشتائم تنصب عليها لأتفه الأسباب ، وهو لا يتورع عن ضربها ، وركلها ، وشتمها بلاذع الكلام أمام أطفالها ، بل وأمام الخادمة حتى أن الخادمة تقوم أحياناً بالتدخل لفض النزاع !!!

وأنا هنا يا آدم أذكرك بقول المصطفى ﷺ : ((**لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يجامعها في آخر اليوم**)) .[١]

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب ما يكره من ضرب النساء : ٤٢/١ .

وفي صحيح مسلم : « **لا يفرك**[1] **مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر** »[2] .

ولقد كان الرسول ﷺ يعظ ويطبق ما يقول : فروي أنه « **لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول : إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً** »[3] .

ولم تمتد يد الرسول الطاهرة قط على إنسان مهما كانت منزلته فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ، لا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط ، فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله عز وجل فينتقم لله عز وجل** »[4] .

وضرب المرأة في الإسلام لم يسمح به إلا في الضرورة القصوى بعد أن يستنفذ آدم الحليم كل الوسائل في تقويم زوجه وردها إلى صوابها ، وأن يكون الخطأ الذي ارتكبته خطأ عظيماً فادحاً .

وقد وضع الإسلام للضرب كيفية معينة ، ووضع له شروطاً منها :

ألا يكون مبرحاً ، وألا يكون على الوجه[5] ، لأن الضرب على الوجه فيه

---

(١) يفرك : يبغض .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء :١٠٩١/٢ رقم ١٤٦٩ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٣٢٩/٢ .

(٣) صحيح البخاري ، باب صفة النبي ﷺ : ٢٣٠/٤/٢ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته ﷺ للآثام :٨٤/١٥ .

(٥) أي لا يسيل دماً ولا يكسر عظماً ولا يزيد على عشر عصي خفيفة بعصي مثل السواك طولها ذراع على أكثر تقدير ، ولقد قال بعض الفقهاء ، إن المملوك إذا ضرب على وجهه كان ذلك سبباً في عتقه أخذاً بحديث أبي مسعود البدري عند مسلم وغيره وحديث ابن عمر عند مسلم وأبي داود ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه ، كما دلت الأحاديث على أن المثلة من أسباب العتق ، وللفقهاء تفصيل ليس محله هنا ومن رام مزيد بيان فليرجع إلى كتب الفقه ، هذا والأمر في حق المملوك ، فما بالنا إن وقع الضرب على إنسانة حرة هي زوجه وأم أولاده .

إهـــانة ، والإسلام ما قصد إهـــانة **حـــواء** وتعذيبها ، وإنمـــا قصـــد تأديبـــها وتذكيرها بطريق الحق والصواب .

ولا بد أن تتم عملية التــأديب هـــذه بعيداً عن الأطفال والخادمات حتى لا تسقط هيبة الأم من عيون أطفالها ، بل حتى لا تتكسر قلوبهم الصغيرة وتتعذب.

ولا يغيب عن لب عاقل أن الخلافات بين الأبوين أمام الأطفال لها آثارهـــا الوخيمة على نفسية الطفل وعلى حياته في المستقبل .

عليك يا آدم .. يا من تتبخـــتر في ثوب الحضارة ، وتنادي بالرقـــــي ، وأنت يا آدم يا من تتلهف إلى الجلوس مع الوعَّاظ ، وتتشدق بألفاظهم أن تعيد النظر والتفكير في طريقة فهمك للإسلام ، لأنك بسلوكك الشائن هذا تسيء إلـــى إسلامنا السمح ، إسلامنا الذي يتعالى على جميـــع الأديـــان ، ويســـمو عليـــها لمناصرته وتكريمه للمرأة .

عليك أن تعتزم الانتقال بصدق من الميدان النظري للإسلام إلـــى الميـــدان التطبيقي الصحيح .

وحـــواء تنصحك يا أخي ... بأنه إذا نشب بينك وبين زوجك خـــــلاف أن تلجأ إلى الحكمة والأناة ، وتعتصم بالصبر .

وفي هذا الموقف حق لك أن تتذكر قوله ﷺ : ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يؤذي جاره ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضلـــع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعـــلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لـــم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً**))(١)

ففي الخـــلافات يظهر عوج المرأة ، وعوجها المقصود به سرعة غضبها ،

---
(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الوصاية بالنساء :٣٤/١ .

وعدم مقدرتها على تحمل النزاع .

وعليك يا آدم الحكيم ... أن تقضي على الخلاف بأسرع وقت وأسهل وسيلة ، لا أن توقد ناره لأتفه الأسباب ، فذاك آدم مستعد لأن يفتح باب الخلاف على مصراعيه لمجرد مراجعة زوجه له في الكلام ومخالفته الرأي .

أقول لك يا آدم ... إن أمهات المؤمنين كن يراجعن سيد الخلق محمد بن عبد الله في الكلام .

ومن ذاك ما رواه عمر بن الخطاب حيث قال :

« كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب بالنزول على النبي ﷺ ، فينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك ، وكنّا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار ، فصَخِبْتُ على امرأتي ، فراجعتني ، فأنكرتُ أن تراجعني ، قالت : ولم تنكر أن أراجعك ، فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه ، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ، فأفزعني ذلك ، وقلت لها قد خاب من فعل ذلك منهن ، ثم جمعت عليَّ ثيابي ، فنزلت فدخلت على حفصة ، فقلت لها أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل ؟ قالت : نعم ، فقلت : قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكي ، لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء ، ولا تهجريه ، وسليني ما بدا لك ، ولا يَغُرنّكِّ إن كانت جارتك أوضأ منك ، وأحب إلى النبي ﷺ ـ يريد عائشة ـ » [1]

(١) البخاري ، كتاب النكاح ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها : ٣٦/١ ـ ٣٧ .

آدم وحواء المطلقة

إن النظرات المجحفة التي يرشق بها المجتمع حـواء المطلقة إنما هي في حقيقتها وأد للمرأة كوأد الجاهلية الأولى ، ونظرة آدم لحـواء المطلقة إنمـــا هي وليدة المجتمع غير الواعي ، فالمجتمع قد صوَّر له المرأة المطلقـــة سـيئة الخلق والدين ، لا تراعي حق العشرة ، ولا تعرف قيمة الزواج ، وتجهل كثـيراً من حقوقه وواجباته ، وإلا لما طلقها زوجها ، وما خرجت من بيتـــها ، فحتـــى آدم المطلق إذا ما طلب الزواج مرة أخرى ، فإنه يرفض حـواء المطلقـــة ، وبذلك يقل طلابها ، وتدفن في جوانب بيت أهلها تجر آلام الظلم الاجتماعي .

وهذه النظـــرة أدت إلى ذل المرأة ، فرضيت أن تعيش مع زوج جبــــار ظالم لا يرحم ، كل ذلك خوفاً من كابوس كلمة (مطلقة) .

إحدى بنات حـواء كانت تبكي ليلها ونهـــارها ، لأنها طلقت مرتيــــن ، وهمها في ذلك ماذا يقول المجتمع ؟؟ مع أنها كانت مظلومة في كلا المرتيـــن ، الأول ذاقت معه الذل والهوان ومرارة العيش تســع سنوات تقريباً مـــع وجـــود عيب شرعي فيه ، ولكنها آثرت السكوت حتى لا يقال عنها مطلقـــة . والثـــاني كاذب مماطل لا يراعي حق العشرة .

أخـــتـــاه ...

إن الطلاق وإن يكن أبغض الحلال إلى الله إنما هو رحمـــة مهداة مـــن الله إلى المرأة ، لتفك به أسرها من براثن زوج لا يخاف الله ، ولا يخشاه .

إن الإسلام حين شرع الزواج قصد منه تكوين الأسرة المسلمة التي قوامــها السكينة والطمأنينة ، والمودة والرحمة .

قـــال تعـــالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إنَّ في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون** ﴾[1].

فإذا فقدت السكينة والطمأنينة ، وانتفت المعاشرة الطيبة الحسنة فإن الإسلام أعطى للمرأة سلاحاً تأمن به حقها ، قال تعـــالى : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾[2].

فالأسرة المسلمة التي تبنى على أعمدة غير ثابتة ، فإنها آيلة للسقوط علـــى من فيها .

والإسلام إنما هدف من الزواج تكوين الأسرة المسلمة التـــي تســـاعد فـــي استمرارية النوع الإنساني الذي ينشر الإيمان والإسلام على مر العصور .

أما الأسرة التي تفتقد الأمان ، والاستقرار ، فإنها تخرج لنـــا المجرميـــن واللصوص والسفاحين ، فتشقى بهم الأمة ، ويكونون سبباً فـــي فنـــاء النـــوع الإنساني .

أما عن نظـــرة آدم للمرأة المطلقـــة ، وانصرافه عنها محتجاً بقوله ﷺ : ((**هلا جارية تلاعبها وتلاعبك**))[3].

إنما هو جهل منه ، لأن الرسول ﷺ لم يقصد بهذا الحديـــث النـــهي عـــن الاقتران بحواء المطلقة ، ولا الحث على الزواج بالبكر فـــي كـــل زيجـــة يكررها آدم ، فالرسول ﷺ تزوج تسع نساء كانت إحداهن بكراً فقط ، وهـــي السيدة عائشة رضي الله عنها ، والثماني الباقيات كن ثيبات ، حتى أن باكـــورة

---

(١) الروم : ٢١ . (٢) البقرة : ٢٢٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الثيبات :٦/٧/٣ .

زواجه وهي السيدة خديجة بنت خويلد كانت ثيباً .

وهذا العمل منه ﷺ دليل على أن المرأة الثيب امرأة لها كيانها وشخصيتها ، وليست امرأة منبوذة على المجتمع أن يلفظها ويتبرأ منها .

فكثير من حالات الطلاق يكون سببها الرجل لفشله في تطبيق حق القوامة تطبيقاً إسلامياً حقاً ، ولكن نظرة المجتمع للرجل المطلق تلك النظرة المتفائلة ساعدته على استئناف حياته ، واستمراريتها بأمان واطمئنان .

ولكن أقول لحواء المطلقة :

إياك والتقوقع داخل نفسية مظلمة قلقة ، بل كوني قوية رابطة الجأش ، قوية العزيمة ، شديدة التفاؤل ، راغبة في إصرار وإلحاح في تكوين أسرة إسلامية جديدة ، ولا تقفي مكتوفة اليدين داخل أول حفرة تقعين فيها ، بل حاولي في عزم أن تخرجي منها لتواصلي المسير في هذه الحياة ، ولتكن قدوتك سيرة الصحابيات ، فلم يكن تكرار الزواج في عرفهن عيباً أو مشكلة تعاقب الواحدة نفسها عليها ، فكانت الواحدة منهن إذا مات عنها زوجها أو طلقت تزوجت بآخر ، ومن أولئك : أسماء بنت عميس الخثعمية زوج جعفر بن أبي طالب وأم ابنه عبد لله ، وقد تزوجت من بعد جعفر أبا بكر الصديق ، فولدت له محمداً ، ثم خلف عليها الإمام علي بن أبي طالب فولدت له يحيى رضي الله عنهم أجمعين(١).

وهذه سكينة بنت الحسين تزوجها ابن عمها عبد الله بن الحسن الأكبر ، فقتل مع أبيها قبل الدخول بها ،ثم تزوجت مصعب أمير العراق ثم تزوجت بغير واحد (٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء :٢٨٢/٢ ـ ٢٨٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء :٢٦٢/٥ ـ ٢٦٣ .

ومنهن عائشة بنت طلحة بنت أخت أم المؤمنين عائشة ، أم كلثوم بنتي الصديق رضي الله عنهم ، تزوجها ابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن ، ثم بعده أمير العراق مصعب ، ولما قتل مصعب تزوجها عمر بن عبيد الله التيمي.(١)

ومن أمثال هؤلاء كثيرات .

فعلى مجتمعاتنا اليوم أنت تصحح نظرتها الظالمة إلى المرأة المطلقة في ضوء الإسلام ، وأن تنفض عن فكرها ما علق بها من غبار الجاهلية الأولى .

وعلى جميع المؤسسات الاجتماعية والإعلامية ، وعلى علماء الدين والعلم والفكر أن يجنِّدوا أقلامهم لإعادة حقوق المرأة التي أخذ ينتهكها آدم غير عابئ بالقانون الإسلامي للمرأة .

وعليها أيضاً أن تنصح آدم وتعظه ، وتنبهه على الدوام إلى حقوق **حواء** عليه .

(١) المرجع السابق :٣٦٩/٤ .

آدم والبخل

قالت لي محدثتي : إن زوجي يملك الكثير من العقارات ، والمحال التجارية ، فحقيقتنا أننا من الأغنياء ، وظاهرنا يحتاج إلى الصدقة ، ويدعو إلى الرثاء .

قلت لها : لعلك ترهقين زوجك بالطلبات ، وما هذا منك إلا كُفر للعشير .

قالت : لقد شاب قلبي ، وضعفت روحي أمام بخل زوجي ، فما عدت أجد رغبة في طلب الأساسيات التي يحتاجها المنزل .

ابني طالب في الجامعة يذهب إليها بالنقل الجماعي مع أن بمقدور والده أن يشتري له أفخم السيارات وأجملها ، وابنتي عروس في عمر الزهور تتوارى عن الأنظار خجلاً من ملبسها الخلق ، ومظهرها الرث .

ومسكني لو دخلته موظفة الجمعية الخيرية لأسرعت بتقرير معونة شهرية مستديمة لنا .

عيون الناس تنظر إلينا في شفقة ، ولوم ، واستهزاء .

قلت لها : غريب أمرك ، أحقاً أن ما تروينه حادث في هذا العصر ؟!!

قالت : كنت مثلك أقرأ هذه القصص في كتاب البخلاء للجاحظ ، ولكن زوجي فيما يبدو يرى أنّ بخلاء الجاحظ مسرفون سفهاء يجب الحجر عليهم ، فأخذ يضع قوانين تكفل للبخل الدوام والاستمرار .

قلت لها : أزوجك مسلم ؟؟

قالت : نعم إنه يصلي ويصوم ، ولكنه عند دفع الزكاة يصاب بحمى تقلق منامه .

قلت لها : ذكِّريه بحقوقك عليه ، فأنت من عائلة غنية مرفهة ، فعليه أن

يوفر لك معيشة مماثلة لمعيشتك الأولى ما دام موسراً ، معيشة تناسب بيئتك وعصرك الذي تعيشين فيه ، وإليك حكم الإسلام في ذلك لتشنفي به آذان زوجك المصون .

إن النفقة يا أختاه ... هي من حق الزوجة على زوجها فهي واجبة عليه بدليل قوله ﷺ في خطبة الوداع : ((**فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ... ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**)) !(١)

وعن ابن حكيم عن أبيه عن جده معاوية رضي الله عنها قال : ((**أتيت رسول الله ﷺ قال : فقلت : ما تقول في نسائنا ؟ قال : أطعموهن مما تأكلون ، واكسوهن مما تكتسون ، ولا تضربوهن ولا تقبحوهن**)) .(٢)

وإذا قصر الزوج يا أختاه في الإنفاق على زوجه وأولاده ، فلها الحق في أن تأخذ من ماله القدر الذي يكفيها وأولادها ــ من غير إسراف ــ حتى وإن كان ذلك بغير علمه ، فقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين : ((إن هند امرأة أبي سفيان قالت له : إن أبا سفيان رجل شحيح ليس يعطيني من النفقة ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال : ((**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**)) .(٣)

أما مقدار النفقة فقد أجمع الجمهور على أنها مردودة إلى العرف والعادة ،

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ :٢/٨٨٩ ــ ٨٩٠ رقم الحديث :١٢١٨ .

(٢) رواه أبو داود واللفظ له ، كتاب النكاح ، باب حق المرأة على زوجها ٢/٢٤٥ رقم ٢١٤٤ ، ورواه بلفظ آخر الحاكم في مستدركه :٢/ ١٨٧ ــ ١٨٨ ، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، ورواه أحمد في مسنده :٥/٣ ، وقال الألباني : سنده حسن . انظر : إرواء الغليل :٧/٩٨ .

(٣) زاد المعاد : ٥/٤٩٣ .

فلم يحفظ عن أحد من الصحابة قط تقدير النفقة لا بمد ولا برطل.[1]

وقد أنصف الإسلام المرأة ، وحفظ لها حقوقها كاملة ، وضرب بذلك على كل يد تمتد إليها بسوء . وإليك ما قاله العلماء في حالة امتناع الزوج عن الإنفاق على زوجته مع يساره .

فقالت الحنفية[2] والحنابلة[3] :

إذا طلبت المرأة النفقة من زوجها فامتنع مع يساره وطالبت بحبسه ، فإن الحاكم يحبسه ، لأن النفقة دين عليه كالقضاء ، فكانت كسائر الديون ، إلا أن الحاكم يؤخر الحبس إلى مجلس أو ثلاثة وينصحه في كل مجلس . فإن امتنع بعد النصح حبسه كسائر الديون وإذا حبسه من أجل النفقة سلمه القاضي إليها بغير رضاه . وما كان من خلاف الجنس لا يبيع عليه شيئاً من ذلك ولكن يأمره أن يبيع بنفسه في قول أبي حنيفة ، وفي قول صاحبيه يبيع عليه وكذا قول الحنابلة لقوله ﷺ لهند امرأة أبي سفيان : « خذي ما يكفيك وولدك » . ولم يفرق ﷺ بين جنس وجنس من المال ، ولأن ذلك ماله فتأخذ منه النفقة والدنانير ، وللحاكم ولاية عليه إذا مانع بدليل ولايته على دراهمه ودنانيره ، ولم يجعل رسول الله ﷺ لها الفسخ ، **وهو الراجح عند الشافعية**[4].

أما المالكية ... فرأت أنه إذا طالبت الزوجة بالإنفاق أو الفسخ أمره الحاكم بالنفقة . فإن امتنع أمره بالطلاق ، وحكم عليه به ، فإن أنفق ، أو طلق

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البيوع ، باب من أجر أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم :١٠٣/٣/١ ، مسلم كتاب الأقضية باب قضية هند :١٣٣٨/٣ رقم ١٧١٤ .

(٢) زاد المعاد : ٤٩٣/٥ .

(٣) بدائع الصنائع :٢٨/٤ــ٢٩ ، فتح القدير ٣٩١/٤ ــ ٣٩٣ .

(٤) نهاية المحتاج :٢٠٢/٧ .

فلا كلام ، وإن أبى من ذلك ، فإن الحاكم يطلّق عليه حالاً بلا تلوم وهـذا هـو المعتمد من المذهب [١].

ويرى ابن حـزم ... أن من منع النفقة والكسوة ، وهو قادر عليها فسواء كان غائباً أم حاضراً ، فهو دين في ذمته يؤخذ منه أبداً ، ويقضي لها بـه في حياته ، وبعد مماته ومن رأس ماله يضرب لها به مع الغرماء ؛ لأنه حق لـها فهو دين قبله [٢].

وبعد أن انتهيت من حديثي ، قالت لي محدثتي فـي اسـتغراب وحماس ظاهرين :

إن ما قلته كنت أجهله البتة !! ألهذا الحد أنصف الإسلام المرأة ؟!!

إذاً من الحمق والغباوة أن تظل المرأة جاهلة بحقوقها ، فعليها أن تـدرس بفهم ووعي كل ما جاء بخصوصها في الشريعة السمحة حتى لا يسـتغل آدم جهلها ، ويتمادى في ظلمها .

وفجأة تغيرت سحنتها وبدا عليها الأسف والمرارة ، وقالت : إن زوجي من الجهل والغطرسة بمكان ، فأنا واثقة من أنه سيحتال ليخرج نفسه من أي دليل أكبله به ، **وسيقـول** : هذا رأي من آراء العلماء ومذهبي غير ذلك ، والأمَـرُّ من ذلك أنه لا يعترف أن ما به بخلاً ، إنما يعزوه إلى الزهد ، وأن الزهد أمـر مطلوب في الإسلام .

فقـلت لها : أختاه إن قضية الزهـد التي يقنعك بها ليست علـى الوجـه الذي يذكر ، فالزهـد ليس مرادفاً للبخل . فالزهد محمود ، والبخـل مذمـوم . وحقيقة الزهـد يا أختاه هو أن يمتلك الإنسان المادة بيديه ، ولا يمتلكها قلبه .

---

(١) جواهر الإكليل :١/٤٠٥.

(٢) المحلى ١٠/٩١ .

آدم وحواء الداعية

إن تبليغ دعوة الله أمر واجب على كل مسلم ومسلمة كل على قدر علمه ، واستطاعته ، قال تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾(١)

وقال ﷺ : « **نَضَّر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها** » .(٢)

وقال أيضاً : « **بلغوا عني ولو آية** » .(٣)

وفي عصرنا هذا عصر المغريات والشهوات ، والمعاصي يحتم علينا أن نطوي الملاحف ، ونشد المآزر ، ونسارع في تبليغ أمر الله .

وقد سار (آدم) في درب الدعوة مسافات طويلة تاركاً حواء على قارعة الطريق محتجاً بأن الدعوة أمر خاص بالرجال دون النساء .

وأنا أقول له : هل الإسلام خاص بالرجل دون المرأة ؟؟

وهب أن دعوة الرجال قد نجحت ، وصلح رجال المجتمع ، ولكن المرأة باقية على جهالتها ، فهل للدعوة فعاليتها ؟!!

إذاً لا بد من توازن في الدعوة حتى نسير بشكل سليم لا عوج فيه .

ولعل الذي ساعد الغرب ، وشجعهم على اتخاذ المرأة المسلمة وسيلة حية لتنفيذ مخططاتهم ، وجعلها نقطة الانطلاق الفعالة . هو علمهم بإهمال الرجل المسلم لها ، وعدم اهتمامه بتثقيفها وتوعيتها فظل عقلها فارغاً من كل خير ،

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٠ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجة باب من بلغ علماً :١/٤٥ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني ، انظر : مسند الإمام أحمد :٢/١٥٩ ــ ٢٠٢ ، صحيح الجامع الصغير : ٢/٣/٩ .

وقلبها مليئاً بالأهواء والشهوات ، فهي إذاً سهلة الانقياد وراء المغريات ، وهي تربة خصبة صالحة لزرع أفكارهم المسمومة ، وعقائدهم الموهومة .

إذاً الرجل المسلم الذي يمنع **حواء** من تبليغ الدعوة ، هو المساعد الأول للأفكار الهدامة .

ستقول **يا آدم** : مكان المرأة البيت ، وعليها أن تهتم بتربية أبنائها وطاعة زوجها ، فإن هي فعلت ذلك دخلت الجنة لقوله ﷺ : « **إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت** »(١) .

وهذا كلام صائب ، وما من أحد يطلب من المرأة أن تهمل بيتها وزوجها من أجل تبليغ الدعوة ، فإن هي فعلت ذلك فقد كساها الخطأ من رأسها حتى أخمص قدميها .

ولكن القصد هو أن تتعاون معها **يا آدم** ، فتنظم وقتك وتهبها سويعات منه ، فتحمل عنها عبء الأولاد ولو يوماً واحداً في الأسبوع وتقوم بتوصيلها إلى دور العلم لتزداد نوراً وفقهاً ، أو لتنير لبنات جلدتها طريقهن ، ولك في كل الأحوال الأجر العظيم ، لأنك جعلت الدعوة مبصرة بعينين بدل أن كانت عوراء تنظر إلى المجتمع بعين واحدة هي عين الرجل .

وهناك بعض أبناء آدم ممن قد وعى دور المرأة في الدعوة بادئ الأمر ، فكان يطلب الاقتران **بحواء** الداعية ، فلما تزوجها انقلب على عقبيه ،

---

(١) ذكره ابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح ابن حبان ، ذكر إيجاب الجنة للمرأة إذا أطاعت زوجها مع إقامة الفرائض لله جل وعلا : ١٨٤/٦ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، باب النكاح : ٣١٥ حديث رقم ٢٩٦ ، صحيح الجامع الصغير :٢٤٠/١/١ رقم ٦٧٣ ــ ٦٧٤ .

وجعلها سجينة البيت ، ومنع المجتمع من خيرها ونفعها ، لقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها محط رحال الراغبين في العلم رجالاً ونساءً ، فكانت رضي الله عنها على قدر كبير بفقه الإسلام وأصوله إلى جانب درايتها بكثير من أبواب المعرفة المتنوعة ، منها علمها بالطب والشعر ، قال عروة لعائشة رضي الله عنها :

يا أمتاه لا أعجب من فقهك ، أول : زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر الصديق ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر ، وكان أعلم الناس ، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ، ومن أين هو ؟! قال : فضربت عائشة على منكبه ، وقالت : (أبا عُرَيَّة إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره ، فكانت تقدم وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات ، وكنت أعالجه فمن ثم) (١).

ولقد كانت رضي الله عنها راوية للحديث ، فقد روت عن رسول الله ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر بن الخطاب ، وفاطمة الزهراء ، وسعد ابن أبي وقاص ، وحمزة بن عمرة الأسلمي ، وجذامة بنت وهب (٢٢١٠) حديثاً ، ذكر لها في الصحيحين منها سبع وتسعون ومائتا حديث ، والمتفق عليه منها أربع وسبعون ومائة حديث ، وبها يقول علماء الحديث إن عائشة رضي الله عنها تعد من رواة الحديث المكثرين (٢).

لقد كان لسيدنا محمد ﷺ الفضل في تكوين شخصيتها ، وتعليمها ، وتفقيهها ، وإعدادها للدعوة والإفتاء ، فكانت رضي الله عنها تسأل ، وتناقش

---

(١) أعلام النساء : عمر رضا كحالة :٣/١٠٥ .

(٢) المجتبى لابن الجوزي : ٩٢ .

جــاء في الحديث : ((**إن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفــه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وإن النبي ﷺ قال : من حوسب عُـــذِّبَ ، قــالت عائشة : فقلت : إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب يهلك**))(١)

ولم يقتصر فضله ﷺ على نســائه ، بل تعداه إلى نساء المؤمنين ، فكـــان يهتم بوعظهن ، وإرشادهن ، وتعليمهن أمور دينهن ، فتفتحت أذهان النســـاء ، وأخذن يسألن عن الأمور التي تخصهن ، ويناقشنه ، ويرد عليهن ، ويقنعهن .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ((**قالت النساء للنبـــي ﷺ غلبنــا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن، وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولــدها إلا كــان لها حجاباً من النار فقالت اثنتين فقال واثنتين**))(٢) ، وقد بلغ من وعي المــرأة ، ورغبتها في الوقوف على أمور دينها أنها كانت تسأل رسول الله ﷺ في أخــص المسائل وأدقها ، لأنها علمت أنه لا حياء في الدين .

ولم يستنكر رسول الله ﷺ هذه الشجاعة ، بل قال : ((**نعم النســـاء نســاء الأنصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين**))(٣)

ولقد كانت المرأة تناقش الخلفاء في أمور الدين ، ومن ذلك قصـــة المــرأة التي ناقشت عمر بن الخطاب حين أراد أن يحــدد الصداق فذكرت لـــه قولــه تعــالى : ﴿ **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوجٍ وءاتيتم إحداهن**

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرف : ٣٧/١ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم : ٣٦/١ .

(٣) رواه مسلم وأبو داود ، وابن خزيمة في صحيحه واللفظ لمسلم ، انظر : صحيح مسـلم بشـرح النـووي ، كتاب الطهارة ، باب غسل المستحاضة وصلاتها :١٦/٤ ، سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب الاغتسال من الحيض : ٨٥/١ ، صحيح ابن خزيمة كتاب الطهارة ، باب غسل المرأة من الجنابة : ١٢٥٤/١ .

قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾[1]

فقال عمر رضي الله عنه ، وهو الخليفة المطاع ، وأمام مرأى من الناس ، قال بكل تواضع : (أصابت امرأة وأخطأ عمر)[2]

وهذا كله دليل على إدراك الرسول ﷺ والخلفاء من بعده لأهمية توعية المرأة ودورها في تكوين المجتمع المسلم .

ويرى بعضهم أن من حِكَم تعدد الرسول لزوجاته ، هو رغبته وحرصه على تخريج بضع معلمات للنساء يعلمهن الأحكام الشرعية الخاصة بهن مما كان ﷺ يستحيي أن يخاطب به النساء .

---

(١) النساء : ٢٠ .

(٢) حقوق النساء في الإسلام /محمد رشيد رضا ــ٦٢ .

آدم وظل الحائط

قرأت مقالاً في إحدى الجرائد اليومية بعنوان :

(ظل رجل ولا ظل حيطة) [1]

وفحوى هذا المقال تشجيع الشباب على الإقدام على الزواج من الفتيات الحاصلات على شهادات عالية ، وضرب الكاتب مثلاً بطبيبة تزوجت رجلاً أقل كفاءة منها – ويبدو أنه على غير اقتناع تام منها – وقد تمثلت بهذا المثل .

واتخذ الكاتب من تمثل الطبيبة بهذا المثل دليلاً على عدم رفض حواء لأي رجل طالما أنها تريد ظلاً ، وفي هذا حافز للرجل على طرق أي باب شاء .

واعتراضي لا ينصب على مضمون المقال بقدر ما ينصب على عنوان المقال .

فعنوان المقال مثل قديم ولدته الظروف البيئية ، والاجتماعية ، والاقتصادية في حقبة زمنية معينة .

ويبدو أن آدم اليوم قد قلَّب كتب الأمثال الشعبية ، فطار فرحاً حين وجد هذا المثل ، وتشبث به ليشهره في وجه حواء في كل وقت ، مذكراً إياها بحاجتها إليه .

حواء يا آدم تعترض على التركيب البياني لمثلك ، فتنكير كلمة رجل تدل على أن المقصود أي رجل على الإطلاق سواء أكان صاحب خلق

---

(١) حاولت جاهدة الحصول على نسخة من المقال ، ولكنني لم أوفق حتى الآن ، والمقال للأستاذ بدر كريم ، نشر في جريدة عكاظ عام ١٤١٠ هـ .

ودين أم عديمه ، جاهلاً أم متعلماً ، كفئاً أم غير كفء ، فدلالة التركيب أن هذا الرجل المُطلَق هو أرحم من ظل أي حيطة سواء أكانت حيطة متداعية للسقوط ، أم حيطة متينة دائمة الظل .

فالتنكير إذاً يفيد الإطلاق والعموم ، **وحواء** اليوم ليست في حاجة إلى أي رجل ، بل ترى أن ظل الحيطان أستر لها ، وأحنى عليها من بعض رجال اليوم .

حواء الأمس كانت تجبرها ظروفها للقبول بأي رجل يتقدم إليها ليوفر لها الطعام والشراب والكساء ، أيا كان نوعه ، وأياً كانت قيمته ، حتى قالت الجدات :

(الرجل رحمة ولو دخل بفحمة) .

وكانت كل أم تدرس ابنتها ، وتحفظها المثل القائل : (الولية ولية ولو كانت عتبتها من ذهب) .

فتقتنع **حواء** بكلام أمها وجدتها وتستسلم له ، فتقبل أي رجل يدق بابها .

ويبدو أن معها حقاً في اقتناعها وقبولها ، لأن رجال الأمس غير رجال اليوم ، ولكن حيطان اليوم أشد متانة من حيطان الأمس .

وحواء اليوم تقبل بالمثل ، وتقتنع به إذا كان بالتركيب التالي :

(ظل الرجل ولا ظل حيطة) .

نعم (الرجل) بأل التعريف التي تفيد الكمال أي الرجل الكامل كمالاً إنسانياً في دينه وأخلاقه ومعاملته .

آدم الشرق وآدم الغرب

لقد هذَّب الإسلام نظرة الرجل المسلم للمرأة وجعله ينظر إليها من خلال منظار واضح لا يريه إلا صوراً جميلة خلابة ، فيهفو إليها فؤاده ، وتسكن إليها نفسه ، ولكن يبدو أن آدم اليوم قد وضع هذا المنظار فوق رفوف المكتبات ، فاعتلاه الغبار وانعدمت به الرؤيا واستبدل به منظار الجاهلية الأولى .

وهكذا فسدت نظرة آدم الشرق للمرأة ، فهو يريدها صغيرة حتى يتمكن من السيطرة عليها ، ويفرض آراءه على حياتها .

وآدم **الغرب** .. ترك الحبل على الغارب ، فهو ينادي بحرية المرأة ويرفض السيطرة عليها في أي صورة من صورها .

آدم **الشرق** .. يريد أن يحبسها في المنزل ، ويمنعها من الخروج بتاتاً وكأنها عصفور سجين .

وآدم **الغرب** .. يغريها بالخروج من البيت بشتى الوسائل ، وفي جميع الأحوال ؛ لأنه يريد مناصرة المرأة ــ على حد زعمه ــ حتى أرهقت **حواء** من هذا الخروج ، وأخذت تصيح وتصرخ مطالبة بإعادتها إلى بيتها المطمئن .

آدم **الشرق** .. يريدها جاهلة حتى لا تناقشه فتُسقط بعض آرائه وهو يستعظم أن يتراجع عن رأيه لقول امرأة وهو يأبى الأخذ بمشورتها ناسياً مشاورته ﷺ لنسائه وأخذه برأيهن ، ومن ذلك أخذه ﷺ بمشورة أم سلمة في يوم الحديبية حين أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن ينحروا بعد أن فرغ من توقيع عقد الصلح مع وفد قريش ، ولكنهم لم يستجيبوا لأمره ﷺ وكان قد أمرهم ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما يلقي من

الناس ، فأشارت عليه رضي الله عنها بقولها : ((**يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بُدْنَه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً**)) (١).

وآدم الغرب .. نراه قد اشتط في الأخذ بآراء النساء وتحكيمهن حتى أصبحت المرأة هي المسيطرة على حياة الرجل ، وأصبح منهن من تحكم الرجال بل وتحكم دولاً بأسرها ، والرسول ﷺ يقول : ((**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**)) (٢).

لأن سياسات الدول تحتاج إلى تكوين جسدي وعقلي ونفسي وعاطفي معين ، وتكوين المرأة لا يهيؤها لتحمل مشكلات تلك السياسات ، ولكنه الرضوخ للمرأة والتبعية لها .

آدم الشرق .. لا ينظر للمرأة إلا بعين الجمال الجسدي الظاهري ، فهو المقياس الذي يستعبده ويتعب نفسه في اقتنائه ، وهو بهذا قد امتهن المرأة .

وآدم الغرب .. قد هتك جمال المرأة ، وجعله سلعة تباع على صفحات المجلات والجرائد ، وإعلانات المبيدات ، وشفرات الحلاقة .

ونظرة آدم الشرق وآدم والغرب .. على ما بينهما من تباعد ونفور إلا أنها تلتقي في كونها نظرة غير إيمانية تتحكم فيها الذات والأهواء .

أما آدم المنصف .. الذي يحفظ **لحواء** حقوقها ، ويتفانى في تحقيها

(١) صحيح البخاري ، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام : ٢٥٧/٣ .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ، والنسائي ، والترمذي ، والحاكم ، وأحمد ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب الفتن : ٧٠/٩/٣ ، النسائي : كتاب القضاة ، باب النهي عن استعمال النساء في الحكم : ٢٢٧/٨ ، سنن الترمذي ، كتاب الفتن : ٢٣٦٥/٣ ، مسند الإمام احمد : ٥٠/٥ ، المستدرك : ١١٩/٣ .

هو آدم المسلم الواعي .. سواء أكان في الشرق أم الغرب ، آدم الذي درس حقوق المرأة والأسرة ، قبل أن يدرس حقوقه على المرأة ، آدم الــذي تربــى تربية إيمانية صحيحة ، آدم الذي جمع في قلبه وعقله أحاديث المصطفــى ﷺ عن المرأة ، آدم الذي قرأ بصدق سيرة الرسول ﷺ مــع زوجاتــه ، وكــان يتشوق للاقتداء به ، وليس هو آدم الذي عرف من السنة ظاهرها ، وتمســك بها .

وليس هو آدم الذي أطــال شــعره ، وزج حواجبــه ، وحلــق لحيتــه وشــاربه ، وتزي بزي النساء ، ولبس الخلاخل .

وأخيراً تتساءل حــواء ...

أين هو آدم الإيماني المثالي ؟!!

حواء تناقش آدم

قرأت حـواء في إحدى الجرائد اليومية مقالاً بعنوان :

(بادروا إلى تزويج بناتكم واخطبوا لهن الأكفاء) .

وهو لأحد الأفاضل وكان جواباً عن السؤال التالي :

(تطرقتم فضيلتكم في فتوى سابقة إلى موضوع الزواج .. وقد نشرت في إحدى المجلات استغاثة من طبيبة تقول فيها : خذوا جميع شهاداتي وأعطوني طفلاً .. ونود منكم أن تواجهوا الشباب والفتيات حول أهمية الزواج) .

فأجاب فضيلته قائلاً : نصيحتي للشباب ـ من بنين وبنات ـ أن يبادروا إلى الأخذ بوصية المصطفى وأمره .. فإنه قد ثبت في الصحيح أنه قال عليه أفضل الصلاة والتسليم : «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج .. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[(١)] .

وهذا أمر منه ﷺ .. ثم إن المدنية العصرية ، والقدوة السيئة ، وبعض الأفكار التي سرت في بعض المجتمعات الإسلامية ، ولم تكن معروفة قد أثرت علينا تأثيراً بالغاً .. كان الناس في وقت أدركته قلَّ أن تجد فتى تجاوز العشرين ولم يتزوج ، وقلَّ أن تجد فتاة تجاوزت السادسة عشرة ولم تتزوج ، فإذا بلغت السابعة عشرة عُدَّت من العوانس .

وفي وقتنا هذا إذا تزوجت في هذا السن ظنوا أنها طفلة بودر بزواجها .. وما كان يجب أن يحدث ذلك .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح : باب قول النبي ﷺ : من استطاع منكم الباءة :٣/٧/٣.

ثم إن كثرة العوانس في البيوت سببها تعلق الفتيات بالدراسة أو عزوفهن عن قبول الزواج في انتظار شاب بمواصفات خاصة ولا يكون قد تجاوز السن حداً معيناً .. ولا شك أن الفتى أحب إلى الفتاة كما أن الفتاة أحب إلى الفتى .. لكن قد يكون زوج تتجب منه البنت التي فاتها قطار الزواج المبكر خير لها من انتظار شاب لا يرغبها ، وبالتالي تبقى عانساً ، ثم كهلة ، فامرأة شمطاء ، لا هي أدركت مرادها ولا نفعتها دراستها .

لاشك أن الدراسة والتعليم صارا في هذا الزمن من الأمور المتبعة والمألوفة ــ ولا أقول الضرورية للنساء ــ لكن لا يصح أن تكون هذه الأمور التحسينية عوائق عن أمر في غاية الأهمية وهو الزواج والإنجاب .

نصيحتي للشابات ، ولمن تجاوزت هذه المرحلة بقليل أن يحرصن غاية الحرص على الزواج ولو بأقل القليل ، لاشك أن كلماتي قد يأنف منها كثير منهن ولا سيما اللواتي لا يزلن في ميعة الصبا ، وقد يدرك حقيقتها من بلغن الثلاثين ، أو تجاوزنها ، اللواتي ينظرن إلى الوراء فيتذكرن شبابهن ، ومن تقدموا لخطبتهن فرفضن ويقلن الآن " يا ليت .. يا ليت " .

ونصيحتي لأولياء أمورهن أن ينشطوا في تزويجهن ، ولا يتركوا للواحدة الحبل على الغارب ، واختيار ما تريد ، فإن الولي يرى ما لا ترى من تحت يده من البنات ، بل يحرص على تزويجهن ، ولو أمكن أن يخطب لابنته فليفعل.

ولقد كان من هو خير منًا من سلفنا بمئات المرات كالخليفة الراشد عثمان ابن عفان ، وقبله الفاروق وغيرهما يخطبون الأكفاء لبناتهم ، وعلى الأم إذا لم تخطب ابنتها أن تُعرِّض كأن تقول : " لو أتانا فلان ولو كان مسنّاً لزوجناه " .

هذا أمر من التعاون ، وعلى البنت البالغة سبعة عشر عاماً أن ترسم خطاً

بيانياً في دفترها لتنتظر مراحل التخلف ، وسوف يهولها الأمر ، فإنها إذا بلغت الأربعين قَلَّ طالبها ، وإذا بلغت الخمسين ندر طالبها ، وإذا تجاوزت صارت عمة أو خالة لا جدة ولا أماً ، وتعذر عليها أن تصل إلى أية صفة من الصفات التي تنفعها في الشيخوخة ، نسأل الله أن يهيء للشبيبة ومن تجاوزها الخير والسعادة ، وتيسير أمور الزواج وتذليل عقباته ...)) [1].

تغلغلت **حواء** في صلب الموضوع فوجدت أن الصلب مناقض للعنوان ، وأن ما جاء في المقال يسيء إلى ذات **حواء** .. **حواء** التي كرمها الإسلام ورفع من شأنها ، **حواء** التي لم ينصفها دين كما أنصفها الدين الإسلامي .

فأحست انه من الواجب عليها أن تدافع عن بنات جنسها مستجيراً بالكتاب والسنة ، فكتبت تناقش (آدم) الفاضل بمقال في نفس الجريدة وتحت عنوان :

(المرأة ليست آلة للتفريخ)[2] قالت فيه : لا شك أن الزواج ضرورة من ضرورات الحياة ، وهو الوسيلة الصحيحة لبقاء النوع واستمراريته .

ولقد حثنا الدين الإسلامي الحنيف على التزاوج ، ورغَّب الشباب في هذا الأمر ، وكان أسلوب القرآن الكريم خير أسلوب ، أسر برقته وجماله النفوس ، وقادها إلى طريق الاستجابة في استسلام وطاعة ، قال تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إنَّ في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون ﴾[3]

وتأمل طريقة المصطفى ﷺ في توجيه الشباب ، وترغيبهم في الزواج حيث قال ﷺ : ((**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم**

---

(١) جريدة عكاظ ــ العدد :٨٤٢١ تاريخ ١٤١٠/١/١٢ .

(٢) جريدة عكاظ ــ العدد :٨٤٣١ سنة١٤١٠ .

(٣) الروم :٢١ .

يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .[1]

وتمعن في هذا الحل السليم الذي وضعه المصطفى ﷺ لمن لم تسعفه ظروفه على الزواج ، فالانشغال بالعبادة والأعمال النافعة خير علاج لصرف طاقة المرء عن الحرام . كل هذا النصح ، وهذا الإرشاد كان في أسلوب بعيد عن اللوم والتجريح .

ولكنني أرى اليوم على صفحات المجلات والجرائد أمراً عجباً ؟!!

أرى سياط اللوم والتقريع تمزق أحاسيس العذارى ، وتدمي مشاعرهن فبعض كتاب المقالات ممن حاول معالجة ظاهرة (انحسار دائرة الزواج في المجتمع السعودي) ــ واخترت هذه العبارة دون العبارة الركيكة التي تلوكها الألسن (ظاهرة العنوسة) ، لأن في هذه العبارة الأخيرة إيذاءً للمشاعر ، وخدشاً للكرامة ــ أخذ يصور الفتاة التي تأخرت في الزواج لسبب ما ، وكأنها وباء على المجتمع ، وعبء ثقيل يهدد كيانه .

والبعض الآخر أخذ يتفنن في الإتيان بمقابلات سخيفة مع رجال أهلكتهم السنون ، وخربت عقولهم عوامل الدهر ، ليدلوا بدلوهم في بنت الثلاثين ، وإظهار مقتهم لهذه السن ، وتفضيلهم بنت الخامسة عشرة البكر التي ترضي عواطفهم المتصابية ، هذا من غير أن يتطرق الكاتب إلى تقويم هذا الاعوجاج الفكري .

وآخر ما قرأت موضوعاً لأحد الأفاضل الذين أعتز بهم ، وبآرائهم أذهلني أسلوبه الجارح الذي يخدش أحاسيس وعواطف القوارير ، وآلمتني طريقته غير المنطقية في معالجة الموضوع ، فهو على الرغم من عطائه الغزير

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب قول النبي ﷺ : من استطاع منكم الباءة : ٣/٧/٣ .

في موضوعات كثيرة ضنَّ على المـرأة في مقالته هذه بما شـرعه الله لـها ، حيث قال في موضوعه :

" ونصيحتي لأولياء أمورهن أن ينشطوا فـي تزويجـهن ، ولا يـتركوا للواحـدة الحبل على الغارب واختيار من تريد " .

أقول يا شيخي : إن الواحدة إذا بلغت الثلاثين ، وبلغت درجة عاليـة مـن التعليم أصبح لها فكر متزن ، وعاطفة ناضجة يؤهلانها لاختيار مـن تريـد ، وليس لوليها إرغامها وإكراهها ، وهذا الحق قد منحها إياه الديـن الإسـلامي ، ومنع وليها من التدخل القسري ، وأعطاه حق النصح والإرشاد والمشاورة فـي الأمر لا أكثر ولا أقل .

فعن ابن عباس ﷺ : ((**أن جارية بكراً أتت النبي ﷺ فذكرت له أن أباهـا زوَّجها وهي كارهة فخيرها النبي**)) .[(1)]

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيـه قال : ((**جـاءت فتـاة إلى النبـي ﷺ فقالت : إنَّ أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسـته ، قال : فجعـل الأمـر إليها ، فقـالت : قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن تَعْلَم النساءُ أن ليـس إلى الآباء من الأمر شيء**)) .[(2)]

والإسلام يا شيخي .. أعطى المرأة أكثر من هذا الحق ، ويتمثل هذا فـي حديث امرأة ثابت بن قيس بن شماس حين جاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : ((**يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خـلق ولا ديـن ولكنـي أكره الكفر في الإسلام ، فقال النبي ﷺ : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعـم ،**

---

(1) صحيح سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب من زوج ابنته وهي كارهة :1/315 رقم الحديث 1520 .

(2) صحيح سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب من زوج ابنته وهي كارهة :1/602 ـ 603 رقم 1874 .

قال رسول الله ﷺ اقبل الحديقة وطلقها تطليقة)) [1].

فهذه المرأة لا تريد مفارقة زوجها لسوء خلقه ، ولا لنقصان دينه ولكن أرادت مفارقته لدمامته . فقد كرهت أن تحملها مشاعرها نحوه على التقصير فيما يجب له من حق فتكون ممن يكفرن العشير ، لم يهزأ الرسول ﷺ من مشاعرها ، ولم يقف أمام رغبتها على الرغم من صلاح زوجها وحسن خلقه ، وعلى الرغم من عظم الطلاق وكراهيته . ففعله هذا ﷺ دليل على احترامه لعاطفة المرأة . وبيان لمدى حريتها المطلقة في اختيار من تريد ، ومن ترغب .

وأنت يا شيخي ... تطلب من الأمهات أن يعرضن بناتهن في المجالس ، وليس هذا فحسب بل عليهن أن يبخسن البضاعة . وأن يقبلن بأي ثمن لها ولو كان رجلاً مسناً ؟!!

ولو هنا يا شيخي ... للتقليل والتهوين ، فقد قلت في مقالك : (وعلى الأم إذا لم تخطب ابنتها أن تُعرِّض كأن تقول : لو أتانا فلان ولو كان مسناً لزوجناه) ، وقلت أيضاً : (نصيحتي للشابات ، ولمن تجاوزن هذه المرحلة بقليل أن يحرصن غاية الحرص على الزواج ولو بأقل القليل) .

وفي نظري أن في هذا انتقاصاً لقيمة المرأة التي حرص عليها الإسلام كل الحرص ، صحيح أن الإسلام لم يمانع في أن يخطب الرجل لابنته الرجل الكفء المناسب لها ، وهذا أمر سار عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم ، ولكنهم لم يتفوهوا بتلك العبارات ، ولم يعرضوا بناتهم بهذه الطريقة .

ومن فحوى عباراتك يا شيخي : إن الفتاة إذا بلغت الثلاثين أصبح من الحق المشروع سلبها كل حقوقها العاطفية والفكرية ، وتجريدها من كل

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب الخلع وكيف الطلاق فيه :٦٠/٧/٣ .

مشاعرها ، وعلى ذويها أن يسوقوها إلى أي زوج ، فهي يجب أن تقتنع بعد هذه السن بأن تكون آلة سريعة للتفريخ فقط لا غير ، فالمهم أن تنجب طفلاً من أي زوج كان ، وبأي مواصفات تكون (وهذه المعاني أكثر ما يبرزها تنكير كلمة زوج المسبوقة بفعل الكينونة) فقد قلت : (لكن قد يكون زوج تنجب منه البنت التي فاتها قطار الزواج المبكر خيراً لها من انتظار شاب لا يرغبها ، وبالتالي تبقى عانساً ثم كهلة ، فامرأة شمطاء لا هي أدركت مرادها ، ولا نفعتها دراستها) .

وأنا أقول لك يا شيخي ... وإلى جميع من كتب في هذا الموضوع إن هناك حقيقة غابت عن أذهان الكثير ، فأدانوا البريء ، وأدخلوه قفص الاتهام ، وتركوا المتهم طليقاً .

فالفتاة التي بلغت الثلاثين ، أو تجاوزتها بقليل ، لم ترفض الزواج من أجل التعليم كما يتوهم الكثير ، ولكن السبب الأول والرئيسي يعود إلى سنة ١٣٩٠ هـ وما قبلها بقليل ، حين نشطت حركة الزواج بغير السعوديات ــ مسلمات وغير مسلمات ــ نتيجة للبعثات العلمية الخارجية ، حيث احتك الطلاب بتلك المجتمعات احتكاكاً دينياً وفكرياً واجتماعياً وعلمياً أدى إلى انقلاب الفكر في كثير من النواحي التي منها تغيير نظرة الشباب للمرأة ، فأخذ يطمح في البحث عن مواصفات جديدة فيها تلائم فكره ورغباته وميوله ، فَكَثُر الطلاق في تلك الآونة ، وكثر الزواج بأخريات أجنبيات .

وهجر الشباب الزواج من الداخل ، وانصرفوا إلى الاقتران بغير السعودية الأمر الذي أدَّى بالمسؤولين إلى وضع حد للزواج بالأجنبيات وقامت الصحف تبين ضرر هذا الزواج والمشكلات التي تخلفها مثل هذه الزيجات على الفرد

والمجتمع ، فكانت هذه المبادرة الطيبة من المسؤولين عاملاً قوياً في القضاء على عائق كبير ، وبالتالي نشطت حركة الزواج من الداخل في الوقت الراهن ، وإن كانت حركة الزواج بغير السعوديات لم تتوقف نهائياً بعد .

وكان من الطبيعي أن يكون هناك عدد كبير من الفتيات بقين من غير زواج مقابل عدد الشباب الذين تزوجوا من الخارج في ذلك الوقت ، وهؤلاء هن اللواتي دفعن ضريبة ذلك الانفتاح الخارجي ، فما كان منهن إلا أن أقبلن على التعليم برغبة وإلحاح لقتل أوقات الفراغ بالمفيد النافع . وعلى عواتق هؤلاء المكافحات نهض التعليم ، وانتشرت الثقافة ، وارتقى المجتمع ، فمنهن الآن الدكتورات ، والطبيبات ... والممرضات ، والموجهات ، والمديرات ، والمدرسات ... فهن إذن قوام المجتمع وعماده . أفبعد هذا الصبر ، وهذه التضحيات يقابلن بالهجوم والتجريح ؟!!

وثمة نقطة أخرى أود أن أشير إليها بعد أن ناقشتها مع الكثيرات ممن تجاوزن الثلاثين – ومن الممكن إجراء استفتاء صحفي حول هذه القضية – وهي أن الزواج أولاً وأخيراً قسمة ونصيب كما يقولون ، وهو قدر محتوم ، فالكثيرات منهن تتسم نظرتهن بالواقعية ، فلم ترفض إحداهن الزوج الكفء بإرادتها ، وإنما هي إرادة الله واختياره ، فالواحدة منهن إذا تقدم لها الرجل الصالح الذي يناسبها تستخير الله سبحانه وتعالى الاستخارة الشرعية فيكون أمر الله وقضاؤه بعدم الأمر (أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد) . والحمد لله أن الكثيرات منهن قد استسلمن لهذا القضاء برضى وقناعة .

فيجب أن لا تعمم النظرة على جميع الفتيات من أجل صرخة فتاة[1] لا نعلم

---

(١) أعني بها الفتاة التي كتبت مقالاً بعنوان (خذوا شهادتي وأعطوني طفلاً) .

ظروفها النفسية والاجتماعية والعاطفية التي تحيط بها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه النظرة غير الموضوعيـــة لمســـألة تـــأخر الزواج ، ومعالجة هذا الموضوع الحساس بأساليب بعيدة عن المنطـــق وعــن الأسلوب العلمي القويم سيؤدي حتماً إلى نتائج عكسية ، وأخطار وخيمة علـــى الفرد والمجتمع ، فتهويل أمر تأخر الزواج وتصويره بأنه شبح مخيـــف ، وداء عضال قد يدفع بعض الصغيرات إلى البحث عـــن أي زوج كـــان ، ومـــن أي طريق ، وبأي وسيلة كانت مشروعـــة أو غير مشروعـــة تخلصاً مـــن نظـــرة المجتمع القاسية ، وهرباً من شبح العنوسة المرعب ، كما يصوره البعض .

وأخـــيـــراً أقـــول :

أخـــتاه .... يا من وصلت سن الثـــلاثين أو أكثر ، وعففت نفســـك عـــن الحرام ابتغاء مرضاة الله ، وإيماناً بقضائه وقدره لا يضيرك ما يقول القـــائلون فما الدنيا إلا سويعات وتنقضي ، وستنالين بإذن الله جـــزاء صـــبرك ، فربمـــا قصرت بك أعمالك عن بلوغ الجنة فكان عدم زواجك هذا مع تعففك عن الحرام هو سبب فوزك بجنات النعيم .

وأوصيك يا أخـــتاه ... بأن لا تقبلي إلا الـــرجل الكفء الذي تقتنعين بـــه تمام الاقتناع والذي تشعرين بأن معه ستكون الرحمة والمودة والسكن .

وإياك والقنوط من رحمة الله ، فالسيدة خديجة رضي الله عنها قد تزوجـــت في سن الأربعين ــ وهي ثيب ــ بخير البرية محمد ﷺ وكان شاباً في الخامسة والعشرين من عمره ، ولم يسبق له الزواج قبلها .

فعليك أخيـــة الدعـــاء ، فباب الكريم مفتـــوح ، والخـــير عنـــده موجـــود وقاصده لا يخيب ، فصبر جميل والله المستعان .

آدم المثالي في نظر حواء

إن في خيال حــواء صوراً مشرقة لآدم المثالي ، آدم الذي يطرب لــه قلبها ، ويحن إليه فؤادها ، وتحلم به ليلها ونهارها ، وتتمنى ظهور وتحقق هــذه الصور الخيالية على أرض الواقع .

قد لا يكترث آدم بمعرفة نظرة حــواء إليه نتيجة للرواســب الجاهليــة التي تفرض على المرأة أن تهتم هي بنظرة آدم إليها فقط ، أما هــــو فيكفيــه شرفاً أنه يحمل اسم (رجل) .

وعلى الرغم من ذلك فحــواء تصر علـــى تسـجيل أحلامــها ورسـم صـــورة آدمها المثالي لعل آدم في يوم من الأيــام ، وفـــي عصــر مــن العصور تتعثر قدمه فلا يجد منقذاً له إلا أن يكون مثــالياً ، فيجد هذه الوثيقـــة المتواضعة بين يديه فتقوده إلى طريق الصواب .

ولعل هناك فئة من أبناء آدم قد هذب الإسلام تفكيرها ، وأذهـــب عنــها كبرياء الجاهلية ، فعرفت أن للمــرأة حقوقاً وواجبات عليها أن تؤديها وتلـــتزم بها ، فتستفيد من هذه الوريقات .

وهاكم نموذجاً فريداً لآدم المثالي ..

◆◆ آدم المثالي في نظر حــواء هو التقي النقي الورع الذي يخاف الله ويخشاه في السر والعلن ، فلا يخاطبها إلا سلاماً ، ولا يعاملها إلا إكرامــاً ، ولا يطعمها ويكسوها إلا حلالاً .

◆◆ آدم المثالي يختار حــواء لدينها وخلقها لا لجمالها أو مالــها ، أو حسبها فقط ، لأن مقياس الدين فيه اعتراف بجوهرها ومعدنها ، فتشعر بأنه لــم

يخترها لعبة يلهو بها ، ثم إذا ملَّها قذف بها جانباً ، واستبدل بها أخرى .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يطبق معنى الرجـــولة الحقــة ، الرجولــة المتمثلة في حق القوامة ، لا الرجولة بمعناها السوقي العام ، وهو فرض السلطة المطلقة في قيادة الأسرة .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يكون منطقياً في متطلباته ، فلا يرهق زوجــه بالعمل داخل البيت وخارجه ، فإن اتفق معها على العمل خارج البيت عليــه أن يعينها ويساعدها في أعمال المنزل وتربية الأولاد .

◆◆ آدم المثالي الذي يمتلك القدرة على كبح جمـــاح غضبــه ويمتلــك الحــكمة والقــدرة على فض المنازعات ، لا أن يفتش بيديه عــن المشكــلات المدفونة .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يهتم بمظهره ونظافته الداخليـــة والخارجيــة ويعرف أن هذا واجب ديني عليه ، وليس هو أمراً خاصاً بالمرأة متعلقاً بها .

◆◆ آدم المثالي يحافظ على لياقته البدنية ويبقى جسمه رياضيـــاً ، ولا يسمح للحوم والشحوم بالزحف على جسمه واتخاذه مسكناً ، فكمـــا أنــه يحــب حــواء التي تحافظ على رشاقتها ، وتهتم بأناقتها ، كذلك حواء تحــب آدم الرياضي المفتول البنية ، الخفيف الحركة ، وتكره البدانة المفرطة .

◆◆ آدم المثالي يحب النظام ، فيقسم ساعات يومه بين عمله وزوجـــه وأهله وأصدقائه ، لا أن يمضي جل وقته في العمل هاملاً زوجــه وأولاده ، ولا منساقاً خلف أصدقائه مضيعاً لحقوق أهله وعمله .

◆◆ آدم المثالي لا يكثر السفر من غير زوجه وأولاده بلا داع ، فـــإن اضطره عمل إلى السفر لفترات طويلة أصر على أن يصحب عائلته مهما كانت

الظـــروف ، فإن اجتماع الزوجين وبين أحضانهما أبناؤهما يزيل كل العراقيـــل والصعاب بسهولة ويسر .

◆◆ آدم المثالي يشعر بمسؤوليتـــه نحو أسرته ، فيهتم بتوصيل أبنائـــه إلى مدارسهم ، وأخذهم إلى أماكن الترفيه المسموح بها ، ويضع لهم برنامجـــاً إيمانياً يجتمعون من أجـــله عدة مرات في الأسبوع ، فيشعرون بقربـــهم مـــن والدهم ، ويزداد التراحم بينهم .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يمتلك حس الفنان المرهـــف ، فيتعـــامل مـــع عاطفة المرأة لا مع جسدها فقط ، ويحاول اختراع الأساليب الفنية التي ترضـــي غرور المرأة ، وفي نفس الوقت يبقيها ساكنة تحت جناحيه ، فلا يبخـــل عليـــها بالكلمات الحانية الرقيقة ، والمداعبات اللطيفة وألا يجعلها مقصورة على وقـــت معين وزمن محدد ، وأن يصدقها المعاشرة الزوجية ولا يشـــعرها بأنـــه هـــو صاحب الحق فقط ، فالمرأة إن شعرت بذلك أحست أنـــها ممتهنـــة الكرامـــة ، فيمسي عطـــاؤها جافاً لا حياة فيه ، وهذه هي بؤرة الخلاف فـــي كثـــير مـــن البيوت ، وإن كانت غير ظاهرة للأنظار .

يا آدم .. أعيد وأهمس في أذنك بأنَّ أعظم وسيلة لهزيمـــة المـــرأة هـــو امتلاك عاطفتها .

◆◆ آدم المثالي لا يرهق زوجـــه بالطلبات ، وبالإكثار مـــن أصنـــاف الأكل ، وكثرة العزائم ، وجلب الأصدقـــاء عمـــلاً بقولـــه تعـــالى : **﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾**[1] .

بل عليه أن يقدر عظم مسؤوليتها ، ولا يستهين بمهام البيت وأعبائه .

---

(١) الأعراف : ٣١ .

◆◆ آدم المثالي يسارع في تلبية احتياجات زوجه وأطفاله ، ويهتم بهـا ويعتبرها من الضروريات ، لا أن يغفل عنها ويماطل في إحضارها وتوفيرها ، فيثير غضب حـواء ، ويتلف أعصابها ، ويفتح بذلك مجال الشقاق والخلاف .

◆◆ آدم المثالي لا ينصب نفسه ناقداً لتصرفـات زوجتـه صغيرهـا وكبيرها فيراقب كل تحركاتها ، فلا تسمع منه إلا الانتقـادات اللاذعـة فـآدم المثالي هو الحكيم الذي لديه خبرة في معالجة عيوب المـرأة مـن غـير أن يشعرها فيجرح كبرياءها وأنوثتها ، وأن يتباحث معها في الأمور التي تزعجـه وتضايقه منها بأسلوب رقيق ، وكلمات حانية ، فسيرى حـواء ، وقد طأطـأت رأسها ، وانساقت وراء رغباته .

◆◆ آدم المثالي ليس بالمنَّان الذي يصر دائماً على تذكير زوجـه بمـا يفعله من أجلها وأولادها ، وأن عليها أن تحمد الله على لقمة العيش التي يقذفـها في فمها وعلى الثوب الذي يكسو جسدها .

◆◆ آدم المثالي الذي يحاول تجديد حياته مع زوجه بإدخال جو المـرح والرحلات ، فإذا شعر بفتور في علاقته معها لا ينطوي داخـل ذاتـه ، ويبـدأ بإظهار الضجر والتأفف ، بل يلجأ إلى الصبر والحكمة ويفكـر فـي الطـرق السليمة التي تعيد للحياة بهجتها .

◆◆ آدم المثالي يتجنب الكذب على زوجه ، فيكون واضحاً معها فـي جميع تصرفاته ، لأن حـواء إذا شعرت أن هناك أموراً يكتمها عنها زوجـها أحست بأن ذلك عدم ثقة بها ، وأنها ليست أهلاً لأن تكون أمينة سـره ، وهـذا دليل على عدم محبته الكـاملة لها ، فتظهر فجوة بينها وبين زوجها تكون سـبباً في نشوب كثير من الخلافات .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يثق في زوجـه ، في عفتها وأخـلاقها ، فـلا يسيء الظن بها لأتفه الأسباب امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾[1]

◆◆ آدم المثالي تأبى عليه كرامته ورجولته أن يلطم وجه امرأة ، أو أن ينهال عليها سباً وشتماً .

◆◆ آدم المثالي لا يفشي أسرار الزوجية أمام أصدقائـه ، ولا يكشـف عيوب زوجه لكائن من كان ، بل يجتهد في علاجها سراً وكتمـاناً ، فإن ذلـك أدعى إلى استجابة **حـواء** ، وإلى امتلاك ناصية طاعتها .

قال ﷺ : « **هل منكم إذ أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ، ثـم يخـرج فيحدث فيقول فعلت بأهلي كذا ، وفعلت بأهلي كذا ، فسكتوا ، فأقـبل علـى النسـاء ، فقال هل منكن من تحدث ، فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيـها ، وتطالت ليراها رسول الله ﷺ ، ويسـمع كلامـها ، فقـالت : أي والله إنـهم ليحدثون وإنهن ليحدثن ، فقال : هل تدرون ما مثل من فعل ذلك إن مثل مـن فعل ذلك مثل شيطـان وشيطانة ، لقي أحدهما صاحبه بالسكة قضـى حاجتـه منها ، والناس ينظرون إليه** »[2] .

وجاء في صحيح مسلم : « **إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامـة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها** »[3] .

---

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) رواه أبو داود ، والبيهقي ، وأحمد في مسنده ، وقال الألباني : صحيح ، انظر : سنن أبـي داود ، كتـاب النكاح :٢/٢٥٣.السنن الكبرى للبيهقي :٧/١٩٣ ـ ١٩٤. مسند الإمام أحمـد :٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤١ . إرواء الغليل :٧/٧٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة :٢/١٠٦٠ حديث رقم ١٤٣٧ .

◆◆ آدم المثالي يحترم حياء المرأة ، ويعرف كيف يمتص رحيق هذا الحياء .

◆◆ آدم المثالي هو آدم اللبق الذي يجيد فن محادثة المرأة ، فلا يهزأ بحديثها إن هي حدثته ، ولا يهون من شأن موضوعاتها ، بل عليه أن يستمع إليها في أناة ، فإن رأى قصراً في فهمها ، أو جموداً لجأ إلى اللباقة وأدار دفة الحديث بطريقة تجعل زوجه تشاركه ما يريد من غير أن يشعرها بالحرج .

وحذار من قطع حديثها بكلمة نابية أو بحركة جافة ، أو اللجوء إلى الصمت المميت .

◆◆ آدم المثالي ليس متكبراً ، ولا متغطرساً ، ولا متعالياً على زوجه فإن كانت أقل منه ثقافة عليه أن يقوم هو بمهمة تثقيفها ، وتعليمها حتى تقرب من فكره وتلائمه لا أن يأخذها صغيرة السن قليلة العلم ويتركها في البيت تقوم على راحته وخدمته ، ليتمكن هو من التسابق في ميادين العلم ، حتى إذا تربع على مركز مرموق تأفف من عقليتها ومن قلة وعيها وعلمها ، وأخذ يزدري فكرها ، فيتسلل إليه الضجر والملل ، ويشعر بعدم القناعة بها ، وأول ما يخطر بباله هو الاقتران **بحواء** أخرى تناسب مركزه الاجتماعي الحالي .

◆◆ آدم المثالي الذي ينفق على زوجه وأولاده من غير إسراف ولا تقتير عملاً بقوله تعالى : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً** ﴾[1].

فلا يبخل في عطائهم ، ولا يتذمر من طلباتهم ، ولا يشتكي دائماً من ضيق ذات اليد ، وقلة الخير في جيبه مع أن الخزنة مليئة من فضل الله .

---

(١) الفرقان :٦٧ .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يعترف بغيرة المرأة ، ويعلم أنها فطرة جُبلت عليها ، ويحاول بفطنته وذكائه أن يعالج أمرها ، ويطفئ نارها ، وأن لا يحتقر غيرتها ، وما ذاك منها إلا دليل على محبتها له وتعلقها به .

◆◆ آدم المثالي الذي يشعر بخطئه إن أخطأ ، ولا يأنف من الاعتذار لحوائه ، بل هو الذي يجيد فن الاعتذار .

استمع إلى اعتذار آدم المثالي لزوجه حين انشغل عنها فترة من الوقت فغضبت :

قولُوا لِمَنْ بالصدِّ تقتُلُني ... حيناً وبالهِجرانِ تَنْتَصِرُ
تَقْسو وتَجْفو دونَما سببٍ ... وتقولُ لا علمٌ ولا خَبَرُ
وتُدير وجهاً لا عدِمت به ... إشراقةً باهى بها القَمرُ
أنَسيتِ آمالاً نَهيمُ بها ... قدْ خَطَّها في سِفْرِنا القَدَرُ
والبيتُ في جَنَباته انطَلقَتْ ... أحلامُنا بالوُجْد تَستَعِرُ
والفجرُ آفاقٌ وأجنحةٌ ... تَسْمو بها الآيات والسُّورُ
ولكَمْ سَجَدْنا فِي ظِلالِ هُدىً ... بالطُّهرِ لا خَمْرٌ ولا سَكَرُ
والصوتُ يا للصَّوتِ يمنَحُني ... دِفْئاً فلا نايٌ ولا وتَرُ
ماذا عليْكِ إذا قَسا زمَنٌ ... أنْ تَرْفُقي ، أوْ طالَ بي سَفَرُ
رِفقاً بمَنْ يجتاحُه ألَمٌ ... فَيذوبُ من كَمَدٍ ويُعتَصَرُ
رِفقاً بأكبادٍ لنا خَطرَتْ ... وكأنَّهنَّ الأنْجُمُ الزُهُرُ
في عينِ " أشواقٍ " معاتَبةٌ ... ودموعُ " آفاقٍ " لنا عِبَرُ
ورفيفُ " أشواقٍ " يُداعِبُنا ... ونداءُ " إيثارٍ " لَهُ أثَرُ
لوْ زُفَّتِ الدُّنيا لنا صوراً ... لتَراقَصَتْ في مُهجَتي الصُّوَرُ

في كُلِّ ثَغْرٍ من " بَرَاعمنــا " ... روضٌ من الأحْـلامِ يَزْدَهــرُ
روضٌ غرَسْنا في رُبَاهُ مُنىً ... قدْ طــابَ في أفيــائِهِ الثَّمَــرُ
وعلى شِفاهِ صِغارِنا عَــذُبَتْ ... دُنيــا مــنَ الآمــال تُدَّخَــرُ
والرِّفْقُ يا دنيايَ مِنْ شِـيَمي ... الرِّفْــقُ .. لا ضَعْفٌ ولا خَورُ
أأسُــوقُ معْــذِرةً بلا ســببٍ ... كيْ لا يُهَــدِّدَ جَــنَّتي خطَــرُ
فأقــولُ منْ قــلبٍ يعــذِّبُــهُ ... صدٌ .. بأنني مُــذْنبٌ بَشَــرُ!

❧ ❧ ❧

●● آدم المثالي يساعد حــواء على الاستعداد ليوم الميعاد ، فيحثــها على حضور مجــالس الذكر ، ويساعدها على ذلك ، ويذلل لها كل صعــب ، لا أن يسجنها بين أربعة جــدران تاركاً وساوس الشيطان تنــهش عقلــها وقلبــها وإيمانها .

---

(١) للشاعر يوسف العظم ، عرائس الضياء : ٦٨ .

فهرس المصادر والمراجع

١ــ القرآن الكريم .

٢ــ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ــ ترتيب علاء الدين بن بلبان ــ ط١ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٧ هــ .

٣ــ إرواء الغليل ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ ط١ ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ دمشق ــ ١٣٩٩هــ .

٤ــ أصول الجغرافية البشرية ــ فؤاد محمد الصقار ــ محمود رشيد الفيل ــ وكالة المطبوعات ــ الكويت ــ ١٩٨٤ م .

٥ــ أعلام النساء ــ عمر رضا كحالة ــ مؤسسة الرسالة .

٦ــ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ــ علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني ــ ط٢ ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت لبنان ــ ١٤٠٢ هــ .

٧ــ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ــ لأبي العلي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ــ أشرف عليه : عبد الوهاب عبد اللطيف ــ دار الفكر ــ بيروت .

٨ــ تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ــ عبد العزيز الحميدي ــ جامعة أم القرى ــ مركز البحث العلمي وإحياء التراث ــ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــ المملكة العربية السعودية ــ مكة المكرمة .

٩ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ ابن جرير الطبري ــ ط٣ ــ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ مصر ــ ١٣٨٨هــ .

١٠ ــ جغرافيــة العالم الإسلامي ــ محمود أبو العلا ــ ط٣ ــ مكتبة الفــلاح الكويت ــ ١٤٠٦ هــ .
١١ــ جواهر الإكليل شرح العلامة خليل في مذهب الإمام مالك ــ صالح عبــد السميع الآبي الأزهري ــ القاهرة ــ ١٤٠٥ هــ .
١٢ ــ حقوق النساء في الإسلام ــ محمد رشيد رضا ــ ط٢ ــ مكتبة التــراث الإسلامي ــ القاهرة ــ ١٤٠٥ هــ .
١٣ ــ دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ــ وثق أصوله ــ وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد المعطي قلعجي ــ ط١ ــ دار الكتب العلميــة ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٥ هــ .
١٤ ــ زاد المــعاد في هدي خير العبــاد ــ لابن قيم الجوزية ــ تحقيق شعيب الأرنــؤوط وآخرون ــ ط١٣ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ لبنان ــ مكتبة المنار الإسلامية ــ الكويت ــ ١٤٠٦ هــ .
١٥ ــ سلســلة الأحــاديث الصحيحة ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ ط٢ ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٣٩٩ هــ .
١٦ ــ سنن ابن ماجة ــ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ــ تحقيق محمــد فؤاد عبد الباقي ــ دار إحياء التراث العربي ــ ١٣٩٥ هــ .
١٧ ــ سنن أبي داود ــ سليمــان بن الأشعث السجستاني ــ ضبطــه : محمــد محيي الدين عبد الحميد ــ دار إحياء السنة النبوية ، دار الفكر .
١٨ ــ سنن الترمذي (الجــامع الصغير) ــ حققه عبد الوهاب عبد اللطيف ــ ط٣ ــ دار الفكر ــ ١٣٩٨ هــ .
١٩ ــ سنن الترمــذي ــ تحقيق : أحمد محمد شاكر ــ ط٣ ــ مكتبة ومطبعــة

مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٣٩٨ هـ .
٢٠ ـ السنن الكبرى للبيهقي ـ ط١ ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الهند ـ حيدر أباد ـ ١٣٤٧ هـ .
٢١ ـ سنن النسائي بشرح السيوطي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .
٢٢ ـ سلافة الأديب ـ محمد بن عبد الرحيم الصديقي ـ ط١ ـ ١٣٨٥ هـ .
٢٣ ـ سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ـ ط١ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٩ هـ .
٢٤ ـ السيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها : طه عبد الرؤوف سعد ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ م .
٢٥ ـ شرح فتح القدير ـ كمال الدين محمد بن عبد الرحمن ابن همام الحنفي ـ ط٢ ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٧ هـ .
٢٦ ـ شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ـ أحمد عبد اللطيف الجدع، حسني أدهم جرار ـ ط١ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٨ هـ .
٢٧ ـ صحيح ابن خزيمة ـ الإمام أبو بكر بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ـ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ـ ط٢ ـ شركة الطباعة العربية السعودية ـ الرياض ـ ١٤٠١ هـ .
٢٨ ـ صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل ـ دار ومطابع الشعب .
٢٩ ـ صحيح الجامع الصغير ـ الألباني ـ ط٢ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دمشق ـ ١٣٩٩ هـ .
٣٠ ـ صحيح سنن ابن ماجة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط٣ ـ إشراف

زهير الشاويش ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٤٧ هـ .
٣١ ـ صحيح مسلم بشرح النـووي ـ ط١ ـ دار إحياء التـراث العـربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٤٧ هـ .
٣٢ ـ صيد الخاطر ـ ابن الجوزي ـ تحقيق : علي الطنطاوي ـ ط٢ ـ دار الفكر ـ سوريا ـ دمشق ـ ١٣٩٨ هـ .
٣٣ ـ عـرائس الضيـاء ـ يوسف العظم ـ ط٢ ـ دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن ـ ١٤٠٧ هـ .
٣٤ ـ قصـائد إلى الأم والأسرة ـ حسني أدهم جرار ـ ط١ ـ دار الضيـاء للنشر والتوزيع ـ الأردن ـ عمان ـ ١٤٠٩ هـ .
٣٥ ـ اللقاء بين الزوجين في ضوء الكتاب والسنة ـ عبد القادر أحمد عطا ـ ط٢ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦ هـ .
٣٦ ـ المجتبى من المجتبي لأبي الفـرج بن الجوزي ـ تحقيق الدكـتور علي حسين البواب ـ ط١ ـ دار الفائز للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ ١٤٠٩ هـ .
٣٧ ـ المحلى لأبي محمد بن أحمد بن حزم ـ تحقيق لجنة إحياء التراث ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان .
٣٨ ـ المرأة بين البيت والمجتمع ـ البهي الخولي ـ مكـتبة دار العروبـة ـ القاهرة ـ ط ـ ١٩٦٥ م .
٣٩ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم وبذيله التلخيص للذهبي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان .

٤٠ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان .
٤١ ـ مشكاة المصابيح ـ محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ـ تحقيق الألباني ـ ط٣ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دمشق ـ ١٤٠٥هـ .
٤٢ ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ـ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل ـ دراسة وتقديم : كمال يوسف الحوت ـ ط١ ـ دار الجنان ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦هـ .
٤٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ـ نشره : أ . ي . ونسنك ـ مكتبة بريل في مدينة ليدن ـ ١٩٣٦م .
٤٤ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .
٤٥ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ـ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .
٤٦ ـ الموطأ ـ مالك بن أنس ـ ضبطه وخرج أحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦هـ .
٤٧ ـ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ـ شمس الدين محمد بن أبي العباس الأنصاري الشهير بالشافعي الصغير ـ المكتبة الإسلامية .
٤٨ ـ جريدة عكاظ ـ العدد ٨٤٢١ سنة ١٤١٠هـ .
٤٩ ـ جريدة عكاظ ـ العدد ٨٤٣١ سنة ١٤١٠هـ .

المحتويات

الموضوع الصفحة

المقدمة ٥
بين يدي الكتاب ٩
اعترافات حـواء ١٢
آدم وجمال حـواء ١٦
آدم وحـواء الصغيرة ٢٣
آدم ورفض حـواء ٢٦
آدم والتعدد ٣١
آدم والعلاقات الزوجية ٥٨
آدم والزينة ٦١
آدم الاتكالي ٦٨
آدم والمادية ٧٢
آدم مع أصدقائه ٧٦
آدم وتعليم حـواء ٨١
آدم القبلي وحـواء ٨٦
آدم الطعان اللعان ٨٩
آدم وحـواء المطلقة ٩٣

الموضوع	الصفحة
آدم والبخل	٩٧
آدم وحواء الداعية	١٠١
آدم وظل الحائط	١٠٦
آدم الشرق وآدم الغرب	١٠٨
حواء تناقش آدم	١١١
آدم المثالي في نظر حواء	١٢٠
المصادر والمراجع	١٢٨
المحتويات	١٣٣

في هذا الكتاب

حاولت الكاتبة أن تقدم شرائح حية من واقع حواء مع آدم اليوم، وتستهدف من حديثها إسداء النصح لكل الرجال، وخاصة الرجل المسلم الواعي، لأنه ممن يرجى برؤه - بإذن الله تعالى - وهي تتوسم فيه الخير والاستجابة، لما ينطوي عليه قلبه من مخافة الله وخشيته، فحتى إذا ما ربضت على قلبه الغفلة فذكر بقول الله تعالى، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه سريع الفيء سهل الانقياد لأمر الله تعالى (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون).

وحواء لا تقصد من كتابتها هذه أن تبرىء نفسها، وتدخل آدم قفص الاتهام، بالطبع لا، فهي تعترف بأن لها أخطاءها، وأن عليها أن تصلح من أمرها، ولا يتم ذلك إلا بالتعاون مع آدمها بحيث يصلح كلاهما أخطاءه، وأن يتحاكما في كل أمر إلى قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن ينحني المخطىء منهما طاعة أمام أمر الله من غير جدال عقيم، أو تبرير سقيم.

خصم خاص للجمعيات الخيرية وفاعلي الخير
مع تحيات دار المحمدي
هاتف ٦٨٩٧٥٠٩ - ناسوخ ٦٨٠٢٦٠٤

ردمك ٥-٨٥-٧٥٢-٩٩٦٠-١